برنامج الدرس الواحد التاسع،

الدرس (١)، السبت: الفجر ٢١/ رجب/ ١٤٣١

تطريز

فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله بن حمد العُصيمي

حفظه الله تعالى

على

رسالة في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ [النحل:١٢٠]

للعلَّامة أبي سعيد العلائي المقدسي

المتوفى سنة ٧٦١، رَحِمَهُ ٱللَّهُ

النُّسخة الإلكترونيَّة (الأولى)

الشيخ لم يراجع التفريغ

http://attafreegh.com/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله ربنا وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد.. فهذا هو **الدرس الأول** من برنامج **الدرس الواحد التاسع**، والكتاب المقروء فيه هو «**رسالة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾** [النحل:١٢٠]» الآية.

وقبل الشروع في إقرائه لابد من ذكر مقدمتين اثنتين.

المقدمة الأولىٰ: التعريف بالمصنِّف؛ وتنتظم في ثلاثة مقاصد.

المقصد الأول، جَرُّ نسبه؛ هو العلامة الحافظ خَلِيل بن كَيْكَلْدِي بن عبد الله العلائي المقدسي الشافعي، يُكنىٰ بأبي سعيد، ويلقب بصلاح الدين، وبابن العلائي، والألقاب المضافة إلىٰ الدين مما أحدثته الأعاجم في العرب، وأقل أحوالها الكراهة.

المقصد الثاني: تاريخ مولده؛ ولد سنة أربعٍ وتسعين وستمائة (٦٩٤) بدمشق الشام.

المقصد الثالث: تاريخ وفاته؛ توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الثالث أو الخامس من محرم الحرام سنة إحدىٰ وستين وسبعمائة (٧٦١)، وله من العمر سبعٌ وستون سنةً رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعة.

المقدمة الثانية: التعريف بالمصنَّف؛ وتنتظم في ثلاثة مقاصد أيضًا.

المقصد الأول: تحقيق عنوانه؛ تبع هٰذا الكتاب باسم «**رسالة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾**»، وهذا الاسم مأخوذٌ ممّا تضمنته الرسالة. فلم تحمل النسخة الخطية للكتاب اسمًا له.

وللعلائي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ رسائل متفرقة في تفسير آياتٍ متعددة، كأنها أُخذت من مجموعٍ له ذُكر في ترجمته هو «**السَّفينة الكبرىٰ في التفسير**».

والسفينة في عرف أهل العلم يراد بها المجموع الذي يدون فيه المصنف أشياء متفرقة يجمعها أمرٌ ما؛ كصنيع العلائي في متفرقات تفسيره لجملةٍ من الآي والسور، ونسبت هٰذه الرسالة في طبعةٍ لها إلىٰ ابن طولون وليست له، وإنما هي للعلائي قطعًا.

المقصد الثاني: بيان موضوعه؛ موضوع هٰذه الرسالة تفسير ثلاث آياتٍ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أولها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠] والآيتان بعدها.

المقصد الثالث: توضيح منهجه؛ إن كلام العلائي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسير هؤلاء الآيات مما عوَّل فيه علىٰ غيره ناقلًا عن جماعةٍ مصرحًا أو غيرَ مصرحٍ، وجلُّ كلامه مأخوذٌ من كلام الراغب الأصفهاني في «مفردات القرآن».

وقد استطرد رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية أحاديث تتصل بأخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يرفعها بإسناده ويعزوها إلىٰ الكتب المشهورة، وهو يعدد الأقوال المختلفة ويندر ترجيحه بينها.

❊❊❊

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ:

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[النحل].

قال الراغب: الأمة: **كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دينٌ واحدٌ أو زمانٌ واحدٌ أو مكانٌ واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو اختيارا.**

ثم قال بعد ذلك، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ أي: قائمًا مقام جماعةٍ في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة، وكما علم أنه يحشر زيد بن عمرو أمةً وحده.

وذكر صاحب «الكشاف» في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ وجهين:

أحدهما: نحو الذي أشار إليه الراغب، أي: كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير؛ كقول بعضهم:

ولـــيس علـــىٰ الله بمســـتنكر أن يَجْمَـــعَ العـــالم في واحـــد

قال مجاهد: كان مؤمنًا وحده والناس كلهم كفار.

والوجه الثاني: أن يكون أمة بمعنىٰ مأموم، أي: يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير، أو بمعنىٰ مؤتم به كالرُّحلة وما أشبهها مما جاء من فُعْلة بمعنىٰ مفعول، فيكون مثل قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة:١٢٤].

وقال ابن مسعود عند ذكر معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن معاذًا كان أمّة قانتًا لله.

ثم قال: الأمة: معلّم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله، وأصل القنوت: لزوم الطاعة والخضوع، وفُسر بكل منهما قوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وقيل: القنوت القيام، وبه فُسِّر قوله ﷺ لما سئل: أي الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**»، لكنه ليس مطلق القيام؛ بل القيام مع الخضوع فيكون هنا معنىٰ القانت: القائم بما أمره الله.

افتتح المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بيان معنىٰ الآية الأولىٰ من هؤلاء الآيات بالنقل عن الراغب.

والمراد بالراغب حيث أطلق في كلام المفسِّرين، الراغب الأصفهاني، واسمه الحُسين بن محمد، والراغب لقبٌ له، ولهذا ذكره الحافظ ابن حجر في «**نزهة الألباب في معرفة الألقاب**»، ولم يذكر أحد من مترجميه مأخذ هٰذا اللقب.

والغالب أن هٰذا اللقب أضيف في الأصل إلىٰ الدِّين، ثم حذفت كلمة الدِّين وعوض عنها بـ «أل» كما يقال «التقي» أي «تقي الدين»، و«الشمس» أي «شمس الدين» فكأن معنىٰ هٰذا اللقب «راغب الدين».

وقد اشتهر به الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ حتىٰ غلب علىٰ اسمه، وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ في اسمه، ولم يختلفوا في لقبه هٰذا.

والنقل عنه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسير الآي هو عن كتابٍ عظيمٍ له اسمه «**مفردات القرآن**» وهو من أحسن المصنَّفات في بيان معاني مفردات القرآن الكريم.

وقد ذكر الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في تفسير (الأمة)، أن **الأمة اسمٌ للجماعة الذين يجمعهم أمرٌ ما**، وهذا الأمر متنوع مختلف فإما أن يكون جامعهم **الدين الواحد، أو الزمان الواحد، أو المكان الواحد**. والحامل علىٰ اجتماعهم مختلف، فإما أن يكون بالغلبة والاضطرار وهذا معنىٰ قوله: (تسخيرًا) أو بالإرادة والاختيار، وهذا معنىٰ قوله (اختيارًا)، فإما أن يكون الجامع لهم أمر لا يد لهم فيه، بل هو مما كتب عليهم مما قدره الله عَزَّوَجَلَّ غلبةً عليهم واضطرارًا، أو يكون الجامع مما أرادوه واختاروه.

ثم ذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠]، وفسره بقوله: (أي قائمًا مقام جماعةٍ في عبادة الله نحو قولهم فلانٌ في نفسِهِ قبيلة)، أي؛ يقوم مقام القبيلة.

ثم ذكر الحديث الذي أخرجه أحمد وغيرُه، وحسَّنه ابن كثير في خبر زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، أحد الحلفاء في الجاهلية قبل الإسلام أنه يحشر أمةً وحده.

ثم أتبع المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ذلك بالنقل عن صاحب «**الكشاف**» وهو الزمخشري، وإنما ذكره بلقبه للإعلام بمرد كلامه من كتبه، فإن للزَّمخشري كتبًا عدة، وهذا الكلام هو في تفسيره المسمىٰ بـ«الكشاف»، فأغنىٰ هٰذا اللقب عن تسميته مع الإعلام بمأخذ كلامه، والبلغاء يبنون كلامهم علىٰ الإيجاز، فقوله: (وذكر صاحب الكشاف) أبلغ من قول: وذكر الزمخشري في «الكشاف».

وقد نقل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ عن الزمخشري أنه ذكر في «الكشاف» في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ

﴿إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وجهين؛ (**أحدهما**: نحو الذي أشار إليه الراغب أي: كان أمةً وحده من الأمم لكماله في جميع صفات الخير، كقول بعضهم) وهو الشاعر المعروف أبو نُواس الحسن بن هانئ إذ قال:

(ولـــيس علـــىٰ الله بمســـتنكرٍ[1] أن يجمـــع العـــالم في واحـــد

قال مجاهدٌ) وهو ابن جبر، (كان مؤمنًا وحده والناس كلهم كفار)، فهذا المعنىٰ الأوَّل.

(والوجه الثاني أن يكون أمةً بمعنىٰ مأموم)، أي: مقصود، ثم فسر ذلك بقوله: (أي يؤمه الناس ليأخذ منه الخير)، والمعنىٰ: يقصدونه ويتّجهون إليه ليأخذوا منه الخير، (أو بمعنىٰ مؤتمٌّ به)، أي: مُقتدىٰ به، (كالرّحلة أو ما أشبهها بما جاء من فعلة بمعنىٰ مفعول)، فيقال: فلانٌ رُحْلَةً أي: مرحول إليه، ويقال هٰذا كتاب نخبة أي: منتخبٌ مصطفىٰ.

ثم قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (فيكون مثل قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤])، وهذه المِثْلِيَّةِ التي ذكرها العلائي لا تسلم عند أهل التحقيق، فإنّ بين الأمةِ والإمام فرقًا، وإلا فما منفعة اختصاص إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا اللقب، فإن لقب الإمام مما شاركه فيه غيره بنصّ القرآن، وأما لقب الأمة فهي خَصَّيصَةٌ إبراهيميةٌ.

وقد ذكر المحقق الكبير أبو عبد الله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «**مفتاح دار السعادة**» أن بين الإمام والأمة فرقين اثنين:

أحدهما: أن **الإمام** يُطلق علىٰ كل مقتدًىٰ به سواءً بقصده وشعوره أم بغير قصده وشعوره، ومنه سُمي الطريق إمامًا؛ لأن الناس يقتدون به في سيرهم فيتبعون جهته التي أخذ فيها.

والثاني: أن اسم الأمة فيه جمع معاني الكمال؛ فهو الكامل في العلم والعمل، بخلاف الإمام فإنه لا يؤدِّي هٰذا المعنىٰ؛ بل يدلُّ علىٰ مجرّد الاقتداء.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن هٰذا الكمال مستكِنٌّ في تركيب الكلمة؛ فإن كلمة «أُمّة» مستفتحةٌ بالضم مع تشديد الميم بعدها.

ولابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ كلامٌ بديعٌ متفرِّق في بيان أثر بناء الكلمة في الدلالة علىٰ معناها، بسطه في كتاب «**جلاء الأفهام**»، ومنه مما أشار إليه من هٰذا الجنس ما ذكره في كتاب «**مفتاح دار السعادة**» أن كلمة «أمة» جيء بها علىٰ بناء قوي دل عليه بضم الشفتين عند النطق بالميم، **والتقوية في البناء دالة علىٰ القوة في**

---

(١) قال شيخنا: (ويروىٰ بمستكثرٍ).

المعنىٰ.

ثم ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ما رواه الحاكم وغيره بسند صحيح عن ابن مسعود أنه قال عند ذكر معاذ: «إن معاذًا كان أمةً قانتًا لله»، وفي رواية عبد الرزاق في «تفسيره» أن مسروقا كان يَقرأ عليه ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل:١٢٠] فقال ابن مسعودٍ: «إن معاذًا كان أمةً قانتًا لله» فردّوا عليه، فأعاد عليهم «إن معاذا كان أمة قانتًا لله» ثم قال: «أتدرون ما الأمة؟ **الأمة الذي يعلِّم الناس الخشية**»، هكذا وقع عند عبد الرزاق في «تفسيره»، وفي رواية الحاكم وغيره ثم قال: «**الأمة معلم الخير**»، ورواية عبد الرزاق مفسرة للمراد من الخير، وأن الخير الذي وصف به معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما ذكره ابن مسعود؛ أنه كان يعلم الناس الخشية.

وقد صح عن ابن مسعود عند ابن عبد البر في «**جامع بيان العلم وفضله**» أن العلم هو خشية الله، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: «إنما يراد من العلم خشية الله»، وكان معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ رجلًا صالحًا انتفع الناسُ به وغلب علىٰ أصحابه من أهل الشام التزهُّد والخوف؛ كما يعرف ذلك من سيرهم.

ثم قال ابن مسعود في تفسير الكلمة الثانية من الآية: «والقانت: المطيع لله ورسوله ﷺ».

ثم رجع المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ إلىٰ تفسير تمام الآية فذكر معنىٰ القنوت فقال: (وأصل القنوت لزوم الطاعة والخضوع) ثم قال: (وقيل القنوت: القيام)، والأمر كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «**مفتاح دار السعادة**» أن **القنوت يفسر بأشياء كلها ترجع إلىٰ دوام الطاعة، فالقنوت هو دوام الطاعة**، وقد روىٰ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «مسنده» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «كل حرف في القرآن يُذكر فيه القنوت فهو الطَّاعة» وفي إسناده ضعفٌ إلا أن معناه صحيحٌ، فإن هٰذه الكلمة كيف قُلِّبت في الكتاب والسنة؛ فالمراد بها دوام الطاعة.

ولأبي العباس ابن تيمية الحفيد رسالةٌ بديعة في قنوت الأشياء كلها لله، نشرها محمد رشاد سالم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «**جامع الرسائل والمسائل**».

والمتحصل مما سلف، أن معنىٰ الأمة راجعٌ إلىٰ ذينك الأمرين العظيمين، وهو كمال الموصوف بها مع الاقتداء به، وكذلك كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه كان جامعًا لمعاني الكمال المناسبة للخلق، وكان مقتدًىٰ به عليه الصلاة والسلام، ووصفه ثانية بكونه قانتًا المراد به إدامته للطاعة وملازمته لها.

❊❊❊

والحنيف: المائل إلىٰ ملة الإسلام غير الزائل عنه.

والحنف: هو الميل عن الضلال إلىٰ الاستقامة، وتحنَّف الرجل: إذا تحرَّىٰ طريق الاستقامة.

وكانت العرب تسمي كل من اختتن أو حج حنيفًا، تنبيهًا علىٰ أنه علىٰ دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومنه ما جاء في بعض روايات بدء الوحي: كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء في كل سنة شهرًا، وكان ذلك مما تَحَنَّفُ به قريشٌ في الجاعلة.

والتحنف: التبرر، قال السهيلي: لأنه من الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ تفسير الصفة الثالثة من صفات إبراهيم في الآية وهو (الحنيف) فذكر أن (الحنيف هو المائل إلىٰ ملة الإسلام غير الزائل عنه)، وتفسير الحنيف بالمائل والحنفِ بأنه (الميل عن الضلال إلىٰ الاستقامة)؛ هو تفسيرٌ للنّص بلازمه لا بما وضع له في لسان العرب، كما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «**مدارج السالكين**» فإن الحنف ليس هو الميل؛ بل **الحنف في لسان العرب هو الإقبال**، ومنه يسمىٰ الرجل (أحنف) إذا كانت إحدىٰ رجليه مقبلة علىٰ الأخرىٰ، ولازم هٰذا الميل، ومن يفسر الحنف بالميل فإنه يفسر اللفظ بلازمه لا بما وضع له في لسان العرب، فإن العرب وضعت الألفاظ للدِّلَالة علىٰ معانٍ مرادةٍ، وتلكم المعاني يقارنها لوازم، فتفسير اللفظ إنما يكون بما وضع له حقيقة لا بلازمه، فالذي يفسِّر الحنف بأنه الميل إنما فسَّر هٰذه الكلمة بلازمها، لا بما وضعت لها، فإن الإنسان إذا أقبل علىٰ شيء كان لازمه أن يميل علىٰ غيره.

فالذي يفسر بالميل يفسر باللازم، ولا يفسر بأصل الوضع العربي، وهذه الطريقة شائعة عند المتأخرين، ومن أجلها كثَّروا معاني اللفظ الواحد؛ لأنهم يذكرون لوازم تلك الكلمة، ككلمة (الرب) فإن المتأخرين ذكروا أن للرب ستةً وثلاثين معنًىٰ نظمها السّجاعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في أبياتٍ له، وهذه المعاني ليست كلها مما جعلته العرب للدلالة لهذا اللفظ (الرب) وإنما هي لوازم، ومن أشهرها تفسير الرب بالمعبود، فإن تفسير الرب بالمعبود إنما هو تفسير بلازم هٰذه الكلمة، لا بما وضَعَته العرب في كلامها، فإن **العرب وضعت كلمة الرب للدلالة علىٰ ثلاثة معانٍ لا رابع لها كما ذكره ابن الأنباري: أحدها السيد، وثانيها المالك، وثالثها المصلح للشيء القائم عليه.**

فإذا فُسِّرت كلمة الرب بمعنًىٰ آخر فاعلم أنه تفسيرٌ للكلمة باللازم، فإذا قيل: (والرب هو المعبود) فذلك لازم معنىٰ الرب، فإن من كان سيدًا مالكًا مصلحًا للكون مدبرًا له؛ لزم أن يكون هو المعبود دون غيره، وكذلك القول في كلمة (الحنيف)، فإن **الحنف في لسان العرب هو الإقبال، ولازم ذلك الإقبال**

الميل فإذا قيل: الحنيف هو المقبلُ عن الله، كان لازمه المائل عما سواه.

فما جرىٰ عليه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من تفسير الحنيف بالمائل، والحنف بالميل، هو تفسير للفظ باللازم، والأصل أن يفسر اللفظ بما وُضع له فيقال: الحنف هو الإقبال، **والحنيف هو المقبل علىٰ الله المائل عما سواه**، وتحنف الرجل إذا تحرىٰ طريق الاستقامة أي: أقبل عليها.

(وكانت العرب تسمِّي كل من اختتن أو حج حنيفًا، تنبيهًا علىٰ أنه علىٰ دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام) فالحنيفية دين إبراهيم، والعرب أبوها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فكلُّ شيء من أفعال إبراهيمَ في الدِّين الذي بعثه الله به ينسب إليها، ومن هنا سُمِّي معرفة العرب من بقايا دين إبراهيم كالختان أو الحج سمَّته (حنيفيةً) وسمت صاحبه حنيفًا.

(ومنه ما جاء في بعض روايات بدء الوحي، كان رسولُ الله ﷺ يجاور في حِراء في كل سنةٍ شهرًا، وكان ذلك ممَّا تحنَّفُ به قريش بالجاهلية)، وهذا وقع في سيرة ابن إسحاق للمرسل عُبيد بن عمير، وليس هو في رواية «الصَّحيحين» وغيرِهما في بدء الوحي في خبره ﷺ في حديث عائشة.

ومعنىٰ قوله: (والتحنُّف: التبرر) أي: عمل البِر، فكانت العرب تعد التخلي والإقبال علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تبرُّرًا وطاعةً وتنسبه إلىٰ الحنيفية؛ كما قال السهيلي في «**الرَّوض الألف**»: (لأنه من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام).

❊❊❊

ثم أكد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك بنفي الشرك عنه؛ ردًا علىٰ قريش في زعمهم أنهم علىٰ ملة إبراهيم عليه السلام، وهم مشركون وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن مشركًا؛ بل كان حنيفًا علىٰ دين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم أكد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك بنفي الشرك عنه) أي أكد حنيفية إبراهيم في كونه مقبلًا علىٰ الله مائلًا عما سواه بنفي الشرك عنه بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وفي ذلك ردٌ علىٰ قريش الذين كانوا ينتسبون إلىٰ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويذكرون أنهم علىٰ دينه، وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن مشركًا؛ بل كان حنيفًا علىٰ دين الإسلام، فدعواهم باطلة لمخالفتها لحقيقة أمره عليه الصلاة والسلام.

❊❊❊

أخبرنا شيخنا أبو الفضل سليمان بن حمزة وعيسىٰ بن عبد الرَّحمٰن المقدسيان بقراءتي علىٰ كل منهما قالا: أنا[1] جعفر بن علي المقرئ، أنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ، أنا أحمد بن عبد الغفار بن

---

(١) (أنبأنا) ما تختصر أبدًا، أنبأنا تكتب أنبأنا، هٰذا (أنا) اختصار: أخبرنا.

أشتة، ثنا محمد بن علي الحافظ، أنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الفقيه، ثنا القاسم بن زكريا، ثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه وأحمد بن سفيان وفياض بن زهير قالوا: ثنا عبد الرزاق، أبنا[١] معمر.

(ح) وأنا أعلىٰ من هٰذا بدرجة الرباني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري بقراءتي عليه بمنىٰ شرفها الله تعالىٰ، أنا علي بن هبة الله بن سلامة الفقيه، أخبرتنا الكاتبة شهدة بنت أحمد الإبري، أنا الحسين بن أحمد بن طلحة، أنا علي بن محمد بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، أن النبي ﷺ لما رأىٰ الصور في البيت- يعني الكعبة- لم يدخل حتىٰ أمر بها فمحيت، ورأىٰ إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام فقال: «قاتلهم الله، والله ما استقسما بالأزلام قط».

هذا لفظ الرواية الثانية، وفي الرواية الأولىٰ «قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما قط».

أخرجه البخاري في «صحيحه» عن إبراهيم بن موسىٰ، عن هشام بن يوسف، عن معمر به، ورواه أيضًا بنحوه من حديث كريب عن ابن عباس، وهو في «صحيح مسلم» من هٰذا الوجه.

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ حديثًا من الأحاديث المتضمنة براءةَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام مما كانت تدعيه قريش من الانتساب إليه، ومن ذلك أنهم عمدوا إلىٰ إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فصوراهما في البيت وبأيديهما الأزلام، **والأزلام هي قداح الميسر، أي: سهام الميسر التي كانت قريش وغيرها في الجاهلية تضرب بها، وهي تتضمن الأمر بالفعل (افعل) أو النهي عنه (لا تفعل).** وكانت قداح الميسر وهي أسهمه مقسومة علىٰ هٰذا (افعل، أو لا تفعل) فيُضرب بها علىٰ صفة عندهم فإذا ظهر شيء اتبعوه.

وقد بلغ من بهتانهم علىٰ إبراهيم وإسماعيل أن نسبوا هٰذا إليهما فصوروهما علىٰ تلك الصفة، فأنكر النبي ﷺ ذلك ولم يدخل الكعبة حتىٰ محيت تلك الصور التي كانت في جوفها، ثم بالغ النبي ﷺ في الإنكار عليهم وبيان براءة الأبوين عليهما الصلاة والسلام؛ فقال: «قاتلهم الله» وهذا دعاء علىٰ المشركين «والله ما استقسما بالأزلام قط».

وقد أورد المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ هٰذا الحديث لبيان أن الآية متضمنة الرد علىٰ المشركين فيما نسبوه إلىٰ إبراهيم فإن الله قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، وهذا يتضمن شيئين اثنين:

---

(١) (أبنا) هٰذا اختصار أخبرنا عند بعضهم، كالبيهقي رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ.

أحدهما: نفي كون ذاته مشركةً فلم يكن عليه الصلاة والسلام مشركًا أبدًا، فلم يحفظ عنه بعد تمييزه فعل من أفعال الشرك.

والثاني: براءته عليه الصلاة والسلام من أفعال المشركين وأقوالهم، فلم يكن في شيء من قوله ولا فعله أمر ينسب إلىٰ الشرك، وكل أمر شركي نسب إليه فهو مكذوب عليه.

❊❊❊

وتحتمل الآية هنا الرد أيضًا علىٰ اليهود والنصارىٰ في دعوىٰ كل طائفة منهم أن إبراهيم عليه السلام كان منهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧]؛ لأن كلًّا من ملة اليهود والنصارىٰ مشتملة علىٰ الشرك كما أخبر الله سبحانه عنهم.

قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم[1] من أهل التفسير: اجتمع يهود المدينة ونصارىٰ نجران عند رسول الله ﷺ فتنازعوا في إبراهيم عليه السلام فقالت اليهود: ما كان إلا يهوديًّا، وقالت النصارىٰ: ما كان إلا نصرانيًّا، فأنزل الله هٰذه الآية ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ [آل عمران:٦٧] الآية.

ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن الآية الثالثة تحتمل أيضًا أن تكون ردًا (علىٰ اليهود والنصارىٰ في دعوىٰ كل طائفة منهم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان منهم)، فكانت اليهود تدّعيه وكانت النصارىٰ تدّعيه، فأبطل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾، وتكون هٰذه الآية من سورة النحل من جنس هٰذه الآية.

وأورد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ما يدلّ علىٰ كونها رادة علىٰ الأمتين الغضبيتين الضالتين اليهود والنصارىٰ، بما ذكره عن أهل التفسير، وهذا لا يروىٰ من وجه صحيح؛ فلم يثبت كون ذلك سببًا لنزول الآية، وهو أمر مشهور عند المفسرين، وكيفما كان، فإنّ ما وصف الله عَزَّوَجَلَّ به إبراهيم من الحنيفية وبراءته من المشركين دال علىٰ خلوصه عليه الصلاة والسلام من صحة النّسبة إلىٰ المشركين أو اليهود أو النصارىٰ، فالآية رادّة علىٰ كل طائفة؛ سواء من هٰذه الطوائف أو الطوائف التي ظهرت بأخَرة ممن ينسبون إليه عليه الصلاة والسلام الدّين الإبراهيمي، ويزعمون أن الدين الإبراهيمي هو دين جامع مصحِّحٌ لما عليه اليهود والنصارىٰ والمسلمون، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام بريء من هذا، فإن إبراهيم كان علىٰ الإسلام.

---

(١) (وغيره) هٰذا غلط، لأنهم جماعة، (وغيرهم من أهل التفسير).

وليس من الأديان شيء مرضي عند الله ﷻ إلا دين الإسلام؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، فدين إبراهيم هو الإسلام، فإذا ذُكِر هٰذا الدين منسوب إليه صح ذلك، وأما ما أُسست لأجله مجامع وعقدت مؤتمرات وندوات ونسب إلىٰ إبراهيم وسمي (الدين الإبراهيمي) عند أهل العصر، وهو ما يجمع اليهود والنصارىٰ والمسلمين فذلك باطل كذب، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام بريء منه وقد برأه الله ﷻ منه.

ومن شواهد هٰذه الآية بيان جلالة كلام الله ﷻ، وأنّ الله ﷻ أنزل هٰذا الكتاب تبيانًا لكل شيء، فكما كانت هٰذه الآية رادّة علىٰ اليهود والنصارىٰ والمشركين في انتسابهم إلىٰ إبراهيم، فهي رادّة علىٰ العصريين الزاعمين الدّين الإبراهيمي الناسبين إليه عليه الصلاة والسلام دينًا مخلوطًا بين اليهودية والنصرانية والإسلام يقتضي تصحيح هٰذه الأديان جميعًا.

والمقطوع به أنّ دين الأنبياء واحد هو الإسلام وأن الدين الذي رضيه الله ﷻ للخلق بعد ميتة محمد ﷺ هو دين الإسلام؛ وما سوىٰ ذلك فهو باطل لا تصح نسبته إلىٰ الأنبياء.

***

وقوله تعالىٰ: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [النحل:١٢١] الشكر: تصور النعمة وإظهارها، وقيل: هو مقلوب عن الكشر، أي: الكشف، والشكر يكون بالقلب: وهو تصور النعمة كما ذكرنا، وباللسان: وهو الثناء علىٰ المُنعم، وبسائر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بالطاعات، ومنه قوله ﷺ: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» لما عُذل في كثرة الصلاة.

قال بعض المفسرين: كان شكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يتغدّىٰ إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفًا فأخذ غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلىٰ الطعام فتجملوا له وخيلوا له أنه بهم جُذامًا، قال: الآن وجبت مؤاكلتكم شكرًا لله علىٰ أن عافاني وابتلاكم.

أخبرنا أبو الربيع بن قدامة الحاكم، أنا جعفر الهمداني، أبنا أبو طاهر السلفي، أنا القاسم بن الفضل، أنا علي بن محمد السكري، أنا أحمد بن محمد الجوزي، ثنا عبد الله بن محمد[1] بن أبي الدنيا، ثنا

(١) قال شيخنا معلقا علىٰ النسخة المطبوعة حيث وقع فيها كتابة عبد في سطر، ثم الله بن محمد في سطر: لا يخفىٰ ما في سوء كتابة هٰذا الكتاب في أول السطر (الله بن محمد) فقد نبهوا في آداب كتابة الحديث أنه لا ينبغي أن يكتب ذلك في أول السطر، لئلا يوهم معنًىٰ باطلًا، فطالب العلم ينبغي له دائمًا أن يضرب علىٰ هذا، ويرفع الاسم الأحسن "الله" إلىٰ المضاف، فيكون (عبد الله) في سطر، ويبتدئ السطر الثاني بـ (ابن محمد).

محمد بن عبد الله بن المبارك، ثنا أبو أسامة، ثنا محمد ابن عمرو، ثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «كان أولُّ من ضيف الضيف إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام»(١).

هذا حديث حسن.

وأخبرنا إسحاق بن يحيىٰ الأموي، أنا يوسف بن خليل الحافظ، أنا خليل بن أبي الرجاء الراراني ومحمد بن أحمد الصيدلاني قالا: أنا الحسن بن أحمد المقرئ، والثاني حاضر، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن جعفر بن الهيثم، ثنا إبراهيم ابن إسحاق الحربي، ثنا ابن الأصبهاني، ثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يأتيه الله بالضيف ليأجره، قال: فاحتبس عليه الضيف ثلاثًا فقال لسارة: لقد احتبس عنا الضيف وما نراه احتبس عنا إلا لما يرىٰ من شدتنا علىٰ خدمنا افعلوا وافعلوا، فإن جاء ضيف لا يخدمه غيري وغيرك.

وبه إلىٰ الحربي، ثنا محمد بن سهل، ثنا عبد الرزاق، ثنا أبي، أن عمر بن زيد أخبره عن عمرو بن دينار؛ قال: لما تضيف الملائكةَ إبراهيمُ عليه السلام قدم العجل فقالوا: لا نأكل إلا بثمن، قال: فكلوه وأدوا ثمنه، قالوا: وما ثمنه؟

قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم.

قال: فنظر بعضهم إلىٰ بعض فقالوا: بهذا اتخذك الله خليلًا.

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ معنىٰ النعت الرابع في حق إبراهيم، أنّه كان شاكرًا لأنعم الله، واستفتح ذلك ببيان الشكر، فذكر أن الشكر هو تصور النعمة وإظهارها وهذا المعنىٰ الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من أحسن ما ذكره المتكلمون في حقيقة الشكر.

وأبين منه مما يشاركه في العبارة ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «**مدارك السالكين**» أن **الشكر هو ظهور أثر النعمة علىٰ العبد**، وهذا الظهور ثلاثة أقسام:

فأولها: ظهور ذلك علىٰ القلب شهودًا ومحبةً.

وثانيها: ظهور ذلك علىٰ اللسان اعترافًا وثناءً.

وثالثها: ظهور ذلك علىٰ الجوارح طاعةً وانقيادًا.

---

(١) أهل اللغة علىٰ بطلان هٰذا التركيب (كان أوَّلُ من ضيف الضيف إبراهيمُ) لابد أن يكون أحدهما مرفوع والآخر منصوب، فإما أن يكون (كان أولُ من ضيف الضيف إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام) أو بالعكس، لأنه ذُكر عمل كان عكس عملها المشروع، أما رفع أول ورفع إبراهيم لا يصح، فتصححونها (كان أولُ من ضيف الضيف إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام).

وإنما قدم هٰذا المعنىٰ الذي يقرؤه العلائي وابن القيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالىٰ؛ لأن أصل هٰذه المادة يرجع إلىٰ الإبانة والإبراز، كما ذكر المصنف ذلك بقوله: (وقيل هو مقلوب عن الكَشَر، أي: الكشف) إذا قيل (كشَّر عن كذا) أي كشفه وأبانه، ومنه كشر السبع عن أنيابه إذا أظهرها وأبرزها.

والشكر مقسوم علىٰ القلب واللسان والجوارح علىٰ ما بيّناه مما هو مأخوذ من كلام أبي العباس ابن تيمية الحفيد وتلميذه ابن القيم؛ وهو أكمل من كلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فإن المصنف قال: (والشكر يكون بالقلب وهو تصور النعمة)، أي شهودها وبقي من ظهور أثر النعمة علىٰ القلب محبة المنعم، فيكون القلب شاهدا للنعمة محبا للمنعم بها.

ثم في قوله: (وباللسان وهو الثناء علىٰ المنعم) قصور، لأن ظهورها علىٰ اللسان يشمل كما سلف الثناء علىٰ المنعم مع الاعتراف بالنعمة، والتحدث بها.

ثم أورد قولَه ﷺ: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» لما عُذِل في كثرة الصلاة، أي: لما لِيم ﷺ، فالعَذلُ هو اللوم.

ثم ذكر ما أورده بعض المفسِّرين في شكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يتغدَّىٰ إلا مع ضيفٍ، وهذا من المأثورات المشهورة عند العرب في أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام مما لا يحتاج فيه إلىٰ نقلٍ خاص، فإن إبراهيم عليه الصلاة و السلام كان كريمًا، ومنه أَخذت العرب ضيافة الضِّيفان، واختصَّت بها دون سائر الأمم، وهو يُكْنىٰ عند العرب كما ذكره عكرمة، ثم ابن سعد في «الطبقات» بـ«أبي الأضياف»، فأبو الأضياف هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، سمي بذلك لأنه كان له وَلَعٌ بطلب الأضياف الواردين واستقبالهم وإكرامهم عليه الصلاة والسلام.

وجاء في الأخبار في الدلالة علىٰ ذلك حديث أبي هريرة الذي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «**إكرام الضيف**»، ومن طريقه المصنِّف أن رسول الله ﷺ قال: «كان أوّل من ضيف الضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام» وهذا حديث حسن، وهو من الأحاديث النَّادرة التي خرجت من أصول الإسلام، فإن هٰذا الحديث لا يُروىٰ في الكتب الستة ولا «مسند أحمد» ولا معاجم الطبراني ولا «مسند البزار» ولا «مسند أبي يعلىٰ الموصلي» وهي دواوين الإسلام المشهورة.

وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «**إكرام الضيف**»، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»، ومثل هٰذا مما يقع خروجه.

أما الأحاديث التي يُحتاج إليها من أصول الدين فلا تخرج عن هٰذه الكتب؛ بل كما ذكر ابن رجب

رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في رسالته في «الرد علىٰ من اتبع غير المذاهب الأربعة»، أن الأحكام المحتاج إليها في حديث النبي ﷺ محِلُّها ومردُّها إلىٰ الكتب الستة، فقَلَّ أن يخرج حديث يحتاج إليه في الأحكام عند دائرة الكتب الستة، وإذا خرج فإنه لا يجاوز الأصول المشهورة التي ذكرناها.

وأما الأحاديث التي تشتمل علىٰ معاني مُستلطفة من الأخبار والرقائق فهذه قد تقع قليلًا فتخرج مع ثبوتها، والمراد بالخروج أن تكون خارج هٰذه الدائرة ثم أن تكون ثابتة، مثلَ هٰذا الحديث الحسن، فإن هٰذا حديث حسن لا يروىٰ في الأصول المشهورة عند أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ.

ثم أسند المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بعد هٰذا الحديث خبرًا عن عروة بن الزُّبير في كرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومعلومٌ أن بين عروة وبين إبراهيم مفاوز تنقطِع فيها أعناق الإبل، لكنَّه من الأخبار المشهورة في كرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقوله في سياق الإسناد قال: (أخبرنا الحسن بن أحمد المقرئ والثاني حاضرٌ)، وهذه كلمة جعلها المحدثون للدلالة علىٰ من سمع من شيخه وهو دون الخامسة، فيكون خليل ابن أبي الرجاء ومحمد بن أحمد الصيدلاني قد سمعا من الحسن بن أحمد المقرئ، لكن الصيدلاني كان صغيرًا فكان دون الخامسة، فمثله يذكر أن سماعه حضور، وإنما يكتب له السماع التام بعد الخامسة.

ثم أتبعه بأثر آخر في أخبار إبراهيم عن عمرو بن دينار رواه من طريق الحربي في كتاب «**إكرام الضيف**»، وفيه «أن إبراهيم قال لما تضيف الملائكة وقالوا له: لا نأكل إلا بثمن، قال: فكلوه وأدوا ثمنه، قالوا: وما ثمنه؟، قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم. قال: فنظر بعضهم إلىٰ بعض فقالوا بهذا اتخذك الله خليلًا»، ومعلوم أن عمرو بن دينار أحد التابعين، فخبره منقطع، وروي مثله عن أبي موسىٰ الأشعري عند الحربي في «إكرام الضيف» وإسناده ضعيفٌ.

ومعنىٰ قولهم: «بهذا اتخذك الله خليلًا» أي لما في قلبك من كمال الإقبال علىٰ الله، فإنه أمرهم أن يسموا في أول الطعام باسم الله وأن يحمدوا الله في آخر طعامهم، فإقبال قلبه علىٰ ربه عند تناول الطعام بدءًا وختمًا دال علىٰ استحقاقه رتبة الخلة التي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه بها.

❊❊❊

والاجتباء: اصطفاء الله سبحانه إياه وتخصيصه بأنواع النعم من النبوة والرسالة والخلة وغير ذلك.

والهداية: الدلالة والإرشاد.

والمراد بالصراط المستقيم: ملة الإسلام.

واختلف في المراد بالحسنة من قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: فقيل: البركة في الأموال والأولاد.

وقيل: هي الخلة التي اصطفاه الله بها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

وقال قتادة: هي تنويه الله بذكره حتىٰ ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه.

وقيل: هي صلاة الله عليه، وهي المعنية بقول المصلي منا: «كما صليت علىٰ إبراهيم» كما أخبرنا عبد القادر بن يوسف الخَطِيرِي ومحمد بن عبد الرحيم القرشي قال الأول: أنا عبد الوهاب بن ظافر، وقال الثاني: أنا يوسف الساوي قالا: أنا أحمد بن محمد الأصبهاني الحافظ، أنا نصر بن أحمد بن البطر، أنا عبد الله بن عبيد الله، ثنا الحسن بن إسماعيل، ثنا يوسف بن موسىٰ، ثنا جرير ومحمد بن فضيل- واللفظ لجرير- قالا: ثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرَّحمٰن بن أبي ليلىٰ، عن كعب بن عُجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب:٥٦] الآية، سألنا النبي ﷺ عن الصلاة قال: «قولوا: **اللَّهُمَّ صلِّ علىٰ محمد وآل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

هذا حديث صحيح اتفقا علىٰ إخراجه من طرق كثيرة بنحو هٰذا إلىٰ عبد الرَّحمٰن ابن أبي ليلىٰ، عن كعب بن عجرة، واتفقا أيضًا علىٰ إخراجه من رواية أبي حميد الساعدي، وانفرد به «البخاري» من حديث أبي سعيد الخدري، و«مسلم» من حديث أبي مسعود الأنصاري.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هٰذه الجملة تمام تفسير ما بعد ذلك من الآية في قوله تعالىٰ: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١]، فبين أن الاجتباء هو الاصطفاء والتخصيص بأنواع النعم من النبوة والرسالة والخُلَّة، ويدل علىٰ ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:١٣٠]، لما ذكر إبراهيم في سورة البقرة، فكان ينبغي أن تفسر هٰذه الآية بآية البقرة بأن يقال: الاجتباء الاصطفاء له كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:١٣٠].

ثم ذكر تفسير الهداية، وأن الهداية هي: (الدِّلالة والإرشاد)، فدله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأرشده، وهذه الهداية مُتَعلَّقها الصراط المستقيم، فقوله: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١].

وقد فسر المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ الصراط المستقيم بأنه (ملة الإسلام)، **والصراطُ هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه**، فإذا أطلق الصراط كان ملازمًا للاستقامة، وذهب بعض المفسرين إلىٰ أن الصراط هو الطريق مطلقًا، سواء كان مستقيمًا أو معوجًا، والأظهر أن الصراط يختص بالطريق المستقيم الذي لا

اعوجاج فيه؛ كما قال الله ﷻ في سورة الملك: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المُلك:٢٢]، فالاستواء والإقامة كائنة بملازمة الصراط المستقيم، والصراط المستقيم في الشِّرعة هو دين الإسلام، ولذلك جاء في حديث ثُوبان عند «أحمد» بسند جيد وأصله عند «الترمذي» أن النبي ﷺ قال: «فالصراط الإسلام».

ثم ذكر اختلاف المفسّرين في معنىٰ قوله تعالىٰ: (﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فقيل: البركة في الأموال والأولاد، وقيل هي الخلة التي اصطفاه الله بها)، (وقال قتادة هي تنويه الله بذكره) أي رفعة الله بذكره وإشادته به، فإن **التنويه هو الرفعة والإشادة**، (حتىٰ ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه)، فقيل هي صلاة الله عليه وهي المعنية بقول المصلي منا: «كما صليت علىٰ إبراهيم».

وأورد المصنف بعد ذلك حديث كعب بن عُجرة في «الصحيحين»، وهؤلاء المذكورات كلهن مما أتاه الله ﷻ إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكلُّها مما يضاف إلىٰ الحسنة، فإن الحسنة مأخوذة من الحسن، وأحسن من هٰذا السِّمْطُ الجامع الذي فسر الله ﷻ به ذلك، وهو إتمام النعمة عليه، فمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: أتممنا النعمة عليه، وكل المذكورات هن من النعم التي أتمها الله ﷻ علىٰ إبراهيم ويدلّ علىٰ ذلك قول الله ﷻ في سورة يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾[يوسف:٦]، فالحسنة التي أتاها اللهُ إبراهيمَ في الدنيا هي إتمام النعمة عليه كما في آية سورة يوسف، **ومن أبلغ مآخذ تفسير القرآن، تفسير القرآن بالقرآن، ومن أحسن النزع صلة الآي بعضِها ببعض**، كهذه الآية من سورة النحل ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فإن هٰذه الحسنة هي إتمام النعمة كما ذكرها الله ﷻ بآية سورة يوسف التي ذكرناها، ويندرج في ذلك كل نعمة أنعم الله ﷻ بها علىٰ إبراهيم، كالخلة وكثرة الأولاد وبقاء العَقِب والذرية وكثرة الأموال والصلاة عليه الصلاة والسلام.

❊❊❊

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠] يعني: من أهل الجنة.

أخبرنا يوسف بن محمد بن إبراهيم ومحمد بن أبي بكر بن مُشَرَّف بقراءتي عليهما قال الأول: أنا إسماعيل بن إبراهيم التنوخي، أنا بركات بن إبراهيم المقدسي، أنا عبد الكريم بن حمزة، أنا الحافظ أحمد بن علي الخطيب.

(ح) وقال شيخنا الثاني: أنبأنا علي بن عبد الله البغدادي، عن الفضل بن سهل، عن الخطيب، أنا

القاسم بن جعفر الهاشمي، أنا محمد بن أحمد اللؤلؤي، ثنا سليمان بن الأشعث الحافظ، ثنا زياد بن أيوب، ثنا عبد الله بن إدريس، عن مختار بن فُلْفُل، يَذكر عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم عليه السلام».

أخرجه «مسلم» و«الترمذي» أيضًا من هذ الوجه وزاد «ذاك إبراهيم خليل الله».

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، وطريق الجمع بينه وبين هٰذا الحديث من وجهين:

أحدهما: أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلِمه الله بأنه أفضل من سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم لما أعلمه الله بذلك بينه للناس.

والثاني وهو الأقوىٰ: أنه ﷺ قال ذلك علىٰ وجه التواضع والاحترام لإبراهيم ﷺ لخلته وأبوته، ولبيان ما يجب له من التوقير والاحترام، ولذلك لما قال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**» أتبعه بقوله: «**ولا فخر**» ليبين ﷺ أنه لم يقل ذلك علىٰ وجه الافتخار و التطاول علىٰ من تقدمه؛ بل قاله بيانًا لما أمر ببيانه، والله سبحانه أعلم.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ تفسير قوله تعالىٰ في نعت إبراهيم: (﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني من أهل الجنة)، فالصلاح في الآخرة هو دخول الجنة؛ لأن **أصل كلمة الصلاح تحصيل أكمل الأحوال**، فالصالح في الآخرة هو الذي يحصل أكمل أحوالها، وأكمل أحوال الآخرة هو الجنة، فالصالح في الآخرة هو الفائز بدخول الجنة.

وهذه الآية قد أوردها إمام الدعوة في كتاب «**التوحيد**» في ذكر أن من جزاء التوحيد إدخال صاحبه بدون حساب ولا عذاب، فيقال: باب من حقق التوحيد دخل الجنة من غير حساب ولا عذاب.

ثم قال: وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ وقد ذهب شراح الكتاب إلىٰ بيان معنىٰ تحقيق إبراهيم عليه الصلاة والسلام للتوحيد المستكنّ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾، ثم وهِلُوا عن بيان الجزاء، فإن هٰذه الآية دالة في صدرها علىٰ أن إبراهيم قد حقّق التوحيد، وأما الجزاء وهو دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب فلم يذكره شراح التوحيد، وهو في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠]، فالصالح في الآخرة هو الفائز بدخول الجنة، وأعظم ذلك أن يدخلها بغير حساب ولا عذاب.

ثم أورد المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ حديثًا في فضل إبراهيم لما قال رجل لرسول الله ﷺ: «يا خير البرية» فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم» وهو في «صحيح مسلم»، وقد ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أيضًا أنه قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، وقد جمع العلماء رحمهم الله تعالىٰ بين هذين الحديثين، بوجوه من أشهرها ما ذكره المصنف هنا.

(وأحدهما: أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من سائر الأنبياء)، فكان النبي ﷺ يتوقف عن تفضيل نفسه، (ثم لما أعلمه الله بذلك بينه للناس)، وهذا الوجه ينهج به جماعة وفيه نظر، إذ ذلك يحتاج إلىٰ دليل تقدم وتأخر زمني وليس في الأحاديث ما يدل علىٰ ذلك ومن هنا ضعفه العلامة حافظ الحكمي في «معارج القبول» وهو حري بذلك.

والثاني: وقد رواه المصنف أن النبي ﷺ قاله تواضعًا، وهو الذي يدل عليه قوله ﷺ: «ولا فخر» فهو يخبر عن ذلك لكنه لا يفتخر متطاولًا علىٰ غيره، بل يتواضع ﷺ بالإخبار عن أنه سيد ولد آدم ولا فخر.

ومأخذ المسألة هو ما صرح به النبي ﷺ بأنه إنما نهىٰ عن كل ما يخالف ذلك إذا جرّ إلىٰ المفاخرة. والأحاديث الواردة في النهي عن التفضيل بين الأنبياء كما في حديث «لا تفضلوا بين الأنبياء» وهو في الصحيح، وكما في حديث «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول أنا خير من يونس بن متىٰ»؛ الصحيح فيها أن النهي عن ذلك إذا كان علىٰ وجه المفاخرة، ولأجل هٰذا اقتصر عليه المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «فيض القدير» فقال: (إنما نهي عن تفضيل مفاخرة، وذكرت أوجه غير مرضية)، وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فإن أهل العلم عددوا وجوهًا أخرىٰ تبلغ الستة؛ لكن أقواها ما ذهب إليها حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وسبقه المناوي من أن المقصود النهي عن ذلك إذا كان مفاخرةً تجرّ الاستطالة والتعدي وانتقاص المفضَّل عليه، فإذا أوردت ذلك نهي عنها ومنع منها.

❊❊❊

وقوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ الآية، ثم في هٰذه الآية إعلام بتعظيم منزلة نبينا ﷺ وإجلال محله، والإيذان بأن من أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام اتباع نبينا ﷺ إياه واقتداؤه به، فهذا وجه تعلق المعطوف بالمعطوف عليه، وذكر بعض المفسرين أن أمر النبي ﷺ في هٰذه الآية باتباع إبراهيم عليه السلام أريد به اتباعه إياه في مواقف الحج، وذكر في ذلك حديثًا في إسناده ضعف عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «جاء جبريل عليه السلام إلىٰ إبراهيم ﷺ فراح به إلىٰ منىٰ فذكر كيفية مناسك الحج ...» وقال في آخره: «فأوحىٰ الله إلىٰ محمد ﷺ أن اتبع ملة إبراهيم

حنيفًا».

وهذا الحديث غير ثابت لما بينا من ضعف إسناده.

والأقرب حمل الأمر هنا علىٰ العموم في اتباع إبراهيم عليه الصلاة والسلام في كل شيء إلا ما نسخه الله من ذلك؛ لأنه تقدم أن هٰذه الآيات بيّن الله بها أن إبراهيم كان حنيفًا مسلمًا ولم يكن مشركًا ردًّا علىٰ المشركين في دعواهم أنهم علىٰ دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهم مشركون وهو صلوات الله عليه لم يكن مشركًا، فناسب ذلك الأمر للنبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم في دين الإسلام والتوحيد وأعماله، وتندرج أفعال الحج تحت ذلك، وحمل اللفظ علىٰ العموم مهما أمكن أولىٰ، والله أعلم.

أخبرنا أبو بكر بن إبراهيم بن عبد الدائم، أنا محمد بن إبراهيم الإِرْبلي[1]، أخبرتنا شُهْدَة بنت أحمد الإبري.

(ح) وقرأت علىٰ محمد بن عبد الرحيم، أخبرك يوسف بن محمود الصوفي، أنا أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِي قالا: أنا نصر بن البَطِر، أنا عبد الله بن البَيِّع، ثنا الحسين المَحَامِلي، ثنا علي بن شعيب، ثنا سفيان بن عيينة قال: سمع عمرو- يعني بن دينار- عمرو بن عبد الله بن صفوان يحدث، عن يزيد بن شيبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا وقوفًا بعرفة في مكان بعيد من الموقف يباعده عمرو؛ فأتانا ابن مِرْبَع الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: إني رسول رسول الله إليكم، يقول: «كونوا علىٰ مشاعركم هٰذه فإنكم علىٰ إرث إبراهيم عليه السلام».

أخرجه «أبو داود» عن عبد الله بن محمد النفيلي، و«الترمذي» و«النسائي»، عن قتيبة بن سعيد، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، ثلاثتهم عن سفيان بن عيينة به فوقع بدلًا لهم عاليًا، وقال «الترمذي»: حديث حسن، وابن مِرْبَع اسمه يزيد بن مربع الأنصاري، وإنما يعرف له هٰذا الحديث الواحد.

قلت: وذكر غيره أن اسم ابن مربع هٰذا زيد، وقيل: عبد الله، وهو من الأوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

و«مِرْبَع» بكسر الميم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة وعين مهملة.

أخبرنا علي بن محمد البَنْدَنِيجِي، أنا محمد بن علي البغدادي بها، أنا عبد العزيز بن الأخضر الحافظ، أنا عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي.

(ح) قال شيخنا: وأنبأنا عبد الخالق بن أنجب، عن الكروخي هذا، أنا محمود ابن القاسم الأزدي

---

(١) الإربلي بكسر الهمزة، نسبة إلىٰ إربل، مدينة معروفة جهة الموصل من العراق.

وعبد العزيز بن محمد الترياقي وأحمد بن عبد الصمد الغُورَجِي قالوا: أبناء عبد الجبار بن محمد الجراحي.

(ح) وقرأت علىٰ القاسم بن مظفر الدمشقي، أخبرك القاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن مَمِيل[1] حضورًا، أنا نصر بن سيار كتابة، أنا أبو عامر الأزدي، أنا الجراحي، أنا محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا محمد بن عيسىٰ الحافظ، ثنا محمود بن غيلان، ثنا أبو أحمد- يعني الزبيري- ثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن عبد الله- هو ابن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي أبي وخليل ربي»، ثم قرأ ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٦٨].

هكذا أخرجه الترمذي في «جامعه» ثم رواه من حديث أبي نعيم عن سفيان الثوري، ولم يذكر فيه مسروقًا وقال: هٰذا أصح.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فيما سلف بيان معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾، وقد بين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن في هٰذه الآية إعلام بتعظيم منزلة النبي ﷺ وإجلال محله.

ووجه ذلك العطف بـ﴿ ثُمَّ ﴾ بعد تَعداد صفات إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدد صفات إبراهيم ثم قال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، فكل المذكورات من فضائل إبراهيم.

ومن فضائل إبراهيم إتباع النبي ﷺ له، وهذه الفضيلة علىٰ إبراهيم هي من أجل ما من الله عَزَّوَجَلَّ عليه، أن جعل محمدًا ﷺ مأمورًا باتباع إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ وذلك دال علىٰ عظم قدر النبي ﷺ، لأن العطف بـ(ثم) دال علىٰ أن ما قبلها متراخٍ عما بعدها في حدوث الفعل، فإذا قلت: (جاء محمد ثم عمرو) فيدل علىٰ أن محمدًا تقدم مجيئه، فهو متراخٍ في المجيء، والمجيء الأخير هو لعمرو، فهو أعلىٰ رتبةً من جهة حدوث الفعل ففعل المجيء تقدم مع محمد ثم تكرر هٰذا الفعل مع عمرو، فيكون عمرو آخر مجيئًا، وكذلك هؤلاء الصفات تكون الصفات المتقدمة أقل رتبة من الصفة الأخيرة وهي: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ فهذا دالٌ علىٰ تفضيل إبراهيم بذكر هٰذه الخصلة ودال علىٰ عظمة النبي ﷺ؛ لأن تأخيره علىٰ العطف بـ(ثم) دليل علىٰ علو الرتبة، فكما يكون ذلك في تراخي الفعل من جهة الوقوع في

---

(١) ابن مميل، مميل هٰذه كلمة أعجمية كما ذكر السبكي في «طبقاته الكبرىٰ» والقاضي شُهبة في «تراجم الشافعية»، ومعناها عندهم محمد، فهي مميل ومعناها محمد.

الزمن، فكذلك يدلُّ علىٰ تراخيه من جهة الرتبة، فالصفات المتقدمة في حق إبراهيم متراخية في الفضل عن هٰذه الصفة العظيمة وهي الإيحاء إلىٰ محمد ﷺ أن يتَّبع ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أشار إلىٰ هٰذا المعنىٰ الزَّمخشري في «الكشاف»، ثم أخذه من بعده من المفسرين.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ عن بعض المفسِّرين أن أمر النبي ﷺ في هٰذه الآية باتباع إبراهيم أريد به إتباعه إياه في مواقف الحج، وروي في ذلك حديث ضعيف كما قال المصنِّف، ثم قال المصنف: (والأقرب حمل الأمر هنا علىٰ العموم في اتباع إبراهيم عليه الصلاة والسلام في كل شيء إلا ما نسخه الله من ذلك) والتحقيق أن محمدًا ﷺ مأمور باتباع إبراهيم في كل شيء سوىٰ ما اختصّت به هٰذه الأمة عن غيرها، فيكون مأمور باتباع إبراهيم في أصل الدين من التوحيد والدعوة إلىٰ الحنيفية السمحة، وكذلك في شرائع الطهارة التي أثرت عن إبراهيم كالختان وغيره، وكذلك ما كان عليه من الأحوال الكاملة ككرمه عليه الصلاة والسلام، وإلىٰ هٰذا نحا أبو العباس بن تيمية الحفيد وغيره من أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ.

ثم ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ المسوّغ لذلك فقال: (لأنه تقدّمه أن هٰذه الآيات بيّن الله بها أن إبراهيم كان حنيفًا مسلمًا ولم يكن من المشركين، فهي ردّ علىٰ المشركين) فناسب ذلك الأمر للنبي ﷺ باتباع ملة إبراهيم في دين الإسلام والتوحيد وأعماله، وتندرج أفعال الحج تحت ذلك، فإنّ من جملة ما اتّبع به النبي ﷺ إبراهيم عليه الصلاة والسلام أفعال الحج.

ثم قال: (وحمل اللفظ علىٰ العموم مهما أمكن أولىٰ)، وهذا من قواعد دَلَالات الألفاظ، فإذا كان اللفظ موضوعًا للعموم فإبقاؤه علىٰ ذلك أولىٰ من تخصيصه.

فإن التخصيص كما تعلمون هو تمييز لبعض الألفاظ، والتمييز يفتقد إلىٰ دليل، ولذلك ذكر الأصوليون أن المخصصات تكون علىٰ نوعين:

أحدهما: المخصصات المتصلة.

والآخر: المخصصات المنفصلة.

فلابد لإخراج اللفظ من عمومه إلىٰ الخصوص من مخصص دال علىٰ ذلك، وحيث لم يوجد فالإبقاء علىٰ عموم اللفظ أولىٰ من نقله إلىٰ ذلك؛ لأن التخصيص هو تحكم، والتحكم يحتاج إلىٰ حاكم أي دليل حاكم بذلك، وإذا تخلّف هٰذا الحاكم فإبقاء اللفظ علىٰ العموم أولىٰ، ولأجل هٰذا يكون قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ أي في كل شيء إلا ما جاء مخالفًا لما كان عليه

دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

ثم أورد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ما يدل علىٰ ذلك وهو حديث ابن مِرْبَع الأنصاري «كونوا علىٰ مشاعركم هذه»، وهو حديث أخرجه أصحاب السنن وإسناده حسن، وقد ضعفه ابن القطان في «**بيان الوهم والإيهام**» وكأن مأخذه وهو لم يصرح بذلك أن عمروًا بن عبد الله بن صفوان لم يوثقه كبير أحد، وإنما وثقه ابن حبان في كتاب «**الثقة**» لكن حديثه هٰذا مما احتمله أهل العلم، ولا يروىٰ عن هٰذا الصحابي إلا هٰذا الحديث مما يدلُّ علىٰ أنه مضبوط محفوظ عنه، فالأشبه والله أعلم أنه حديث حسن وقد اختلف في اسم ابن مربع علىٰ أقوال عددها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

ثم أتبع المصنِّف ذلك بحديث آخر عن عبد الله بن مسعود «إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي أبي وخليل ربي» يعني ممّن أتولّاه، وهذا الحديث حديث ضعيف، والصَّواب فيه رواية جماعة عن سفيان عن أبيه عن أبي الضُّحىٰ عن عبد الله، ليس فيه ذِكر ابن مسعود فيكون منقطعًا كما أشار إلىٰ ذلك الترمذي في «جامعه» والبزار في «مسنده»، فالمحفوظ في الحديث أنه من رواية أبي الضحىٰ عن عبد الله وأبو الضحىٰ لم يسمع من عبد الله وإنما سمع من أصحابه.

وإنما أراد المصنف من ذكر هٰذا الحديث بيان أن محمد ﷺ كان علىٰ طريقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

❊❊❊

أخبرنا العلامة أبو إسحاق العباس أحمد بن إبراهيم الفزاري الخطيب قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٧٠٣، أنا العلامة أبو عمرو عثمان بن عبد الرَّحمٰن بن الصلاح، أنا المؤيد بن محمد الطوسي، أنا محمد بن الفضل الصاعدي أنا عبد الغافر ابن محمد الفارسي، أنا أحمد بن عَمْرَوَيه، ثنا إبراهيم بن سفيان، ثنا مسلم بن الحجاج، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا الليث.

(ح) قال: وثنا محمد بن رمح، أنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «عُرض علي الأنبياء عليهم السلام فإذا موسىٰ ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه وإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبكم» يعني نفسه صلىٰ الله عليهما وسلم، وذكر بقية الحديث، كذا أخرجه مسلم في «الصحيح».

ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة: أخبرناه أبو محمد بن أبي غالب العساكري سماعًا عليه، عن أبي الوفاء محمود بن إبراهيم العبدي، أنا الحسن بن العباس الرُّستمي، أنا عبد الوهاب بن محمد بن

إسحاق بن منده، أنا أبي، أنا محمد بن الحسين بن الحسن، ثنا أحمد بن يوسف السُّلَمي.

(ح) قال: وأنا علي بن العباس، ثنا محمد بن حماد قالا: ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، أخبرني سعيد بن المُسَيَّب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «حين أسري بي لقيت موسىٰ عليه الصلاة والسلام فنعته- فإذا رجل حسبته قال: مضطرب- رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، ولقيت عيسىٰ عليه الصلاة والسلام قال: ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس، قال: ورأيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأنا أشبه ولده به» ﷺ.

أخرجه «البخاري» عن محمود، و«مسلم» عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، و«الترمذي» عن محمود بن غيلان، كلهم عن عبد الرزاق به علىٰ البدلية.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي العز بن بيان وآخرون قالوا: أنا الحسين بن المبارك، أنا عبد الأول بن عيسىٰ، أنا عبد الرَّحمٰن بن محمد، أنا عبد الله بن أحمد، أنا محمد بن يوسف، ثنا الإمام محمد بن إسماعيل، ثنا مؤمل، ثنا إسماعيل، ثنا عوف، ثنا أبو رجاء، ثنا سَمُرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة آتيان فأتينا علىٰ رجل طويل لا أكاد أرىٰ رأسه طولا وإنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام».

كذا رواه مختصرا.

فرغ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من تفسير الآية ثم شرع يذكر أخبارًا من أحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يتمم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ تفسير الآية الأخيرة، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال في الآية الثالثة: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فانتهىٰ بيانه إلىٰ ذكر أن محمدًا ﷺ مأمور باتباع ملة إبراهيم.

ولم يبين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ الحامل علىٰ إعادة نعت إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ قد قدم ذلك إذ قال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠]، ثم قال بعد: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣]، وإعادة ذلك لابد لها من إفادة معنىٰ، **ومن قواعد فهم القرآن إدراك طريقة تصريف الكلام فيه، فإن من أعظم العلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ معرفة تصريف القرآن، فإن الله عَزَّوَجَلَّ امتن علينا بذلك، والمراد بتصريف الكلام تحويل وجوه الكلام فيه إما بزيادة حرف أو نقصان حرف**، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة البقرة في الخبر عن الملائكة: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ [البقرة:٣٠] فإن سياق الآية يكفي فيه قوله:

(ونقدسك)، ومع ذلك زيدت اللام لدلالة علىٰ معنىٰ، وكذلك إذا أبدل حرف بحرف فإن ذلك دال علىٰ معنىٰ زائد، كما قال الله ﷻ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ [آل عمران:١٤٠]، ولم يقل: (جَرح) مع أنه هو المعروف حتىٰ في مواضع من كتاب الله ﷻ؛ فقوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥] فما يمس به الإنسان يسمىٰ جرحًا، فالعدول عن ذلك أو زيادة كلمة أو إعادتُها دالٌ علىٰ إرادة معنًىٰ زائد، ومع جلالة هٰذا الأمر؛ فإني لا أعرف أحدًا صنف في تصريف القرآن في هٰذا المعنىٰ، مع أنه هو المعنىٰ الذي ذُكر في أربع أو خمس آيات في كتاب الله ﷻ، وإذا طرد طالب العلم هٰذا الأصل فتح له باب من الفهم في كتاب الله، ويوجد هٰذا متفرقًا في كتب أهل العلم؛ لكن لا جامع له، فقل أن تجد تفسيرًا إلا وفيه إشارة إلىٰ أمثال هٰذه الأنواع من التصريف؛ لكن لم يجمعها أحد، ولا تتبعها أيضًا في كتاب الله ﷻ حتىٰ يدرك معنىٰ السر في ذكر شيء مكررًا أو إنقاصه أو إدخال كلمة أخرىٰ أو نحو ذلك.

وقد ذكر العلامة الطاهر ابن عاشور في تفسير هٰذه الآيات السر في تصريف هؤلاء الآيات علىٰ هٰذا المعنىٰ من إعادة قوله: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ذكر أن ذلك يفيد ثلاثة أمور:

أولها: نفي الشرك عن إبراهيم في جميع أنواع المُضِي، فجميع الوقت الماضي لم يقع من إبراهيم شرك قط.

والثاني: تجدُّد ذلك واستمراره؛ فلم يقع منه بعد عليه الصلاة والسلام شيء من الشرك أبدًا.

وثالثها: براءة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الشرك وأهلِه.

أما الخبر الذي استفتح به المصنِّف أحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ وهو حديث جابر رضي الله عنه المخرج في «صحيح مسلم» وفيه: «ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه وإذا أقرب من رأيت به شبهًا صاحبكم» يعني نفسه ﷺ، فمحمد ﷺ أشبه الخلق بأبيه إبراهيم باطنًا وظاهرًا.

فأما شبه الباطن هو ما كان عليه من كمال تحقيق التوحيد؛ ولهذا فكلاهما خليلٌ لرب العالمين.

وأما شبه الظاهر فالمراد به الخلقة والصورة الظاهرة.

وقوله في وصف موسىٰ: «فإذا موسىٰ ضرب من الرجال» أي وسط لا ناحل ولا غليظ، ومعنىٰ «كأنه من الرجال شنوءة» أي منسوبًا إلىٰ قبيلة شنوءة وهي من قبائل الأسْد، واسمه عبد الله بن كعب كان بينه وبين قومه شنآن أي بُغض فلُقِّب بشنوءة ونسب إليه من جاء من عَقِبه.

ثم أورد حديث أبي هريرة في «الصحيحين» وفيه تأكيد الصفة السابقة في وصف إبراهيم إذ قال:

«ورأيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأنا أشبه ولده به» فكان أشبه الناس بإبراهيم علىٰ ما قدَّمنا باطنًا وظاهرًا هو محمد ﷺ.

وقوله في وصف موسىٰ: «فإذا رجل حسبته قال مضطربٌ» المضطرب هو الطويل غير الشديد، وقوله: «رَجِلُ الرَّأس» تُبيّن أن الراجح في ما جاء من الروايات المطلقة في وصف موسىٰ بذلك أن المقصود بذلك أنه رَجِل الرأس وليس رجل الجسم، **ورَجِل الجسم هو المكتنز الذي ليس سمينًا ولا نحيلًا**، لكن هٰذه الرواية فيها إضافة ذلك إلىٰ الرأس، فيدل علىٰ أنه رجل الرأس ومعنىٰ «رَجِل الرأس» أي جعد الرأس، لكنها ليس جعودة تبلغ القَطَطَ، وهي الجعودة الشديدة، وإنما المقصود أن شعره لم يكن سَبِطًا مسترسِلًا؛ بل كان علىٰ تعريف العرب من أحوالها، فإن للعرب جعودة فارقت بهاج جُعُودة الحبش والسودان واسترسال شعر العجم.

ومعنىٰ قوله رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: «كلهم عن عبد الرزاق فيه عن البدلية» أي أنه شاركهم في رواية هٰذا الحديث من طريقه عن شيخ شيوخهم، فإن «البخاري» روىٰ هٰذا الحديث عن محمود و«مسلم» عن محمد بن رافع وعَبد بن حميد و«الترمذي» عن محمود بن غيلان وكلهم تلاميذ عبد الرزاق، والمصنف رواه من طريق أحمد بن يوسف ومحمد بن حماد قال: حدثنا عبد الرزاق، وإذا وافق المصنف أحد الأئمة السابقين في شيخ شيخه سمي بدلًا.

ثم أورد بعد ذلك حديث سَمُرَة عند «البخاري» وفيه من صفة إبراهيم أنه رجل طويل، وطوله بالغ؛ حتىٰ قال النبي ﷺ: «لا أكاد أرىٰ رأسه طولا».

❊❊❊

وبهذا الإسناد إلىٰ الإمام «البخاري» قال: ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا مغيرة بن عبد الرَّحمٰن القرشي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمانين سنة بالقَدُّوم».

وبه قال: ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، ثنا أبو الزناد به، وقال «بالقَدُوم» مخففة، كذا وقع في «صحيح البخاري» بالروايتين[1]، ورواة «صحيح مسلم» متفقون علىٰ رواية هٰذا الحديث فيه «القَدَوم» مخففا.

وهذه اللفظة تحتمل أن تكون الآلة التي للنجار فيكون إبراهيم صلوات الله عليه اختتن بها، ويحتمل أن يكون موضعًا اختتن به، قالوا: وهو مكان بالشام، ويقال له: قدوم بالتشديد والتخفيف، وأما

(١) (بالروايتين) يعني المشددة والمخففة.

آلة النجار فيقال بالتخفيف لا غير، وجمهور الرواة علىٰ التخفيف، والأكثرون علىٰ أن المراد به الآلة، والله أعلم.

والختان هٰذا من جملة الكلمات التي أخبر الله سبحانه عنها بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤] الآية، في قول جمهور المفسرين، والمعنىٰ: وإذا ابتلىٰ إبراهيم ربه بإقامة كلمات أو بتوفية كلمات.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم: يا خليلي تطهر، فتمضمض، فأوحىٰ الله إليه أن تطهر، فاستاك، فأوحىٰ الله إليه أن تطهر، فأخذ من شاربه، فأوحىٰ إليه أن تطهر، ففرق شعره، فأوحىٰ إليه أن تطهر فحلق عانته، فأوحىٰ إليه أن تطهر فنتف إبطيه، فأوحىٰ إليه أن تطهر فقلم أظفاره، فأوحىٰ إليه أن تطهر؛ فأقبل بوجهه علىٰ جسده ينظر ماذا يصنع فاختتن وهو ابن عشرين ومائةِ سنة).

أخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم وعيسىٰ بن إبراهيم وأحمد بن أبي طالب بقراءتي علىٰ كلٍّ منهم؛ قالوا: أنا عبد الله بن عمر الحَرِيمِي، أنا مسعود بن محمد بن عبد الواحد، أنا الحسين بن محمد السراج ومحمد بن محمد العطار قالا: أنا الحسن بن أحمد ابن شَاذَان، أنا علي بن محمد بن الزبير، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا جعفر بن عون، ثنا يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اختتن إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام وهو ابن عشرين ومائة سنة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة».

قال سعيد بن المُسَيِّب: وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول من اختتن وأول من رأىٰ الشيب، قال: فقال: يا رب ما هذا؟، قال: فقيل له: وقار، قال: رب زدني وقارًا، وأول من أضاف الضيف، وأول من قص أظافيره وأول من جز شاربه، وأول من استحد.

كذا وقع في هٰذه الرواية أنه اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة.

وكذلك رواه مالك في «الموطأ» عن يحيىٰ بن سعيد كما رويناه وهو موقوف أيضًا، والصحيح ما تقدم مرفوعًا في «الصحيحين» أنه عليه الصلاة والسلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة، والله أعلم.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ خبرًا آخر من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، في اختتانه.

وقدَّم في أول ما ذُكر من ذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اختتن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدُّوم» مشددًا أو «بالقدُوم» مخففًا، وهذه اللفظة تشديدًا وتخفيفًا مما اختلف فيه أهل العلم، فذهب بعضهم أن المراد به الآلة المعروفة وهي الفأس، وذهب بعضهم إلىٰ أنه

محلٌ معروف بالشام، وهذا المحل هو من أعمال نابلس وإليها ينسب جماعة كلُّهم من الحنابلة يقال في نسبتهم «القَدُّومِي» والصحيح أن المذكورة في الحديث هو الآلة وليس المحل، فإنه المعروف في أخبار النبي ﷺ والصحابة والتابعين ولم يكن للبلد ذكر عندهم، واللفظ الذي يكون واقعًا علىٰ أكثر من معنىٰ ويعرف أحد هٰذه المعاني مشهورًا مستفيضًا في خطاب الشرع أو خطاب نقلته من صحابة والتابعين يكون هو المقدَّم، وهذه القاعدة قاعدة نافعة في ميل الألفاظ المحتملة، ومنه ما في الصحيح في خبر قرب الشمس من الخليقة يوم القيامة حتىٰ ما يكون بينها وبينهم إلا ميلٌ، قال الراوي ما أدري ميل المُكْحُلَة أم ميل المسافة، والصحيح أن المراد بالميل هو ميل المسافة لأنه هو المعروف بالخطاب الشرعي فلا يعدل عنه إلىٰ سواه ولو كان مشاركًا له ومن هٰذا الجنس هٰذا الحديث، فالمراد بـ«القدّوم» أو «القدوم» مشددًا أو مخففًا الآلة، وهو قول أكثر أهل العلم وهو الصحيح.

والختان من ملة إبراهيم فهو من الكلمات التي أخبر الله عنها بقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤]، أي أمره بشرائعَ أمرًا ونهيًا فوفىٰ بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام فمعنىٰ «فأتمهن» أي وفَّىٰ بهن كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧] أي جاء بذلك علىٰ وجه وافٍ كاملٍ.

ثم أورد في ذلك أثرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يصح، وصح عن ابن عباس عند البيهقي في «السنن الكبرىٰ» قال: «ابتلاه الله بالطهارة خمسٍ في البدن وخمسٍ في الرأس» ثم عدّدهن وذكر منها «الختان»، وقد جاء في هٰذا الأثر عن ابن عباس أن (إبراهيم اختتن وهو ابن عشرين ومائة سنة)، ومثله كذلك في خبر أبي هريرة الذي بعده أنه قال: «اختتن إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام وهو ابن عشرين ومائة سنة»، وأثر أبي هريرة أخرجه البخاري في« الأدب المفرد» وغيره، ورجاله ثقات، لكن في ثبوته عن أبي هريرة نظرًا، فإن مالكًا رواه في «موطئه» عن يحيىٰ بن سعيد عن سعيد بن المسيب، وجعله من كلام سعيد لا من كلام أبي هريرة، وقول المصنف: «كذلك رواه مالك بن الموطأ عن يحيىٰ بن سعيد كما رويناه وهو موقوف أيضًا» يوهم أنه في «الموطأ» عن يحيىٰ بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وإنما هو في «الموطأ» من كلام سعيد بن المسيب، **والصحيح ما تقدّم مرفوعًا في «الصحيحين» أنه عليه الصلاة والسلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة.**

وأما رواية ابن مائة وعشرين فالجواب عنها من وجهين:

أحدهما: أنها رواية لا تصح، أو في الكلام سقط كما ذكره ابن حجر في «فتح الباري» والأَوْلَىٰ الأوّل أنها لا تصح.

والثاني: أن يكون ذلك العدد مختلفًا باختلاف بدء مدته فيكون ما جاء في الحديث أنه اختتن وهو ابن ثمانين سنة أي بعد ثمانين سنة من بدء نبوته، ويكون ما جاء في بعض روايات من أنه اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة أي من بدء عمره، فيكون عمر إبراهيم حين اختتن مائة وعشرون، وقد نُبِئ علىٰ رأس الأربعين، فتكون المدة التي بعد الأربعين إلىٰ مائة وعشرين وهي الثمانون هي المرادة بحديث أبي هريرة، أي بعد ثمانين سنة من بدء نبوته.

وذهب بعضهم إلىٰ تعليق ذلك بهجرته من العراق وأنه وهو ابن ثمانين سنة؛ أي: بعد ثمانين سنة من هجرته من العراق.

وهذه الأقوال محتملة من جهة المعنىٰ لكن لا دليل عليها، والمحفوظ أنه اختتن وهو ابن ثمانين سنة، والمتبادِر من اللفظ أن ذلك هو عمره.

فمن قال أن عمره عندما اختتن هو مائة وعشرون وأن الحساب للثمانين كان من ابتداء النبوة فيه نظر، فالإبقاء علىٰ ظاهر اللفظ أولىٰ من الركون إلىٰ تأويل لم يثبت فيه دليل.

والأوّليات المذكورة أول من ضيف الضيف وأول من قص أظافيره إلىٰ آخره، إنما أعلىٰ ما فيها ما جاء عن سعيد بن المسيب عند مالك بن «الموطأ»، إلا تضييفه الضيف فقد ثبت ذلك من حديث أبي هريرة كما سلف أن أول من ضيف الضيف هو إبراهيم عليه السلام.

❊❊❊

أخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم ومحمد بن محمد بن الشيرازي ويحيىٰ بن محمد بن سعد قالوا: أنبأنا الحسن بن يحيىٰ بن صَبَّاح[1]، وقال الأول أيضًا: أنبأنا محمد بن عمار الحراني قالا: أنا عبد الله بن رفاعة السعدي، أنا علي بن الحسن الخِلَعِي، أنا عبد الرَّحمٰن بن عمر بن النَّحَّاس.

(ح) وأنا القاسم بن مظفر وأبو نصر محمد بن محمد المُرِّي، كلاهما عن محمود بن إبراهيم ابن منده، أنا الحسن بن العباس الفقيه، أنا أبو عمرو عبد الوهاب، أنا أبي الحافظ محمد بن إسحاق قالا: ثنا أبو طاهر أحمد بن عمرو المديني.

(ح) وأنا أبو الربيع بن قدامة الحنبلي وأبو نصر بن مميل وأبو محمد بن أبي غالب الدمشقيان قالوا: أنبأنا محمد بن عبد الواحد المديني، أنا محمد بن أحمد البَاغْبَان[2]، أنا إبراهيم بن محمد الطيان، أنا

---

(١) قال شيخنا: المتقدمون تُضبط بتشديد صبّاح.

(٢) **البَاغْبَان** هٰذا لقب عجمي، يطلق علىٰ من يحفظ الباغ، والباغ عندهم هو البستان، يعني حارس البستان.

إبراهيم بن عبد الله التاجر، ثنا الإمام أبو بكر عبد الله ابن زياد النيسابوري قالا: ثنا يونس بن عبد الأعلىٰ، ثنا ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمٰن وسعد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قال: «ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي» لفظهم واحد.

هذا حديث صحيح، أخرجه «البخاري» عن أحمد بن صالح، و«مسلم» عن حرملة بن يحيىٰ، كلاهما عن ابن وهب فوقع بدلًا لهما عاليًا.

ورواه «ابن ماجه» عن يونس بن عبد الأعلىٰ به فوافقناه بعلو.

قال الإمام أبو إبراهيم المزني وجماعة من العلماء: هٰذا الحديث يدل علىٰ نفي الشك في إحياء الموتىٰ عن إبراهيم واستحالته في حقه، ومعناه أنه لو كان الشك في إحياء الموتىٰ متطرِّقًا إلىٰ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكنت أنا أحق به من إبراهيم وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك، ويكون قال ﷺ هٰذا إمَّا علىٰ وجه الأدب كما تقدم في حديث: «يا خير البرية» أو أراد أمَّته الذين يجوز عليهم الشك، وذكر في الحديث وجهان آخران:

أحدُهما: أنه خرج مخرج العادة في الخطاب من غير تصور شك من أحد منهما، كما يقول من يريد المدافعة عن إنسان لم يقصده: ما كنت قائلًا لفلان أو فاعلًا معه من مكروه فقله لي أو افعله معي، ومقصوده أن لا يقع شيء له ولا لذاك.

والوجه الثاني: أن هٰذا الذي يظنونه شكًا أنا أولىٰ به؛ فإنه ليس بشك ولكنه طلب لمزيد اليقين، وهذا علىٰ أحد التأويلات المذكورة في قول إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قالوا: فسأل زيادة اليقين وقوة الطمأنينة وإن لم يكن في الأول شك؛ إذ العلوم النظرية والضرورية قد تتفاضل في قوَّتها فأراد الانتقال من النظر إلىٰ المشاهدة، والترقي من علم اليقين إلىٰ عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة، قال سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ اللَّهُ: «سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله».

وفي الآية وجوهٌ أخر لأهل التفسير، منها – وهو أظهرها- أنه عليه السلام أراد الطمأنينة بعلم كيفية

الإحياء مشاهدةً، بعد العلم بها استدلالًا، فإن عِلْم الاستدلال قد تطرق إليه الشكوك، بخلاف علم المعاينة فإنه ضروري، ويكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [البقرة:٢٦٠] استفهام الإيجاب، كقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا

يعني أنتم كذلك.

ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير، والسدي، أن ملك الموت عليه السلام استأذن ربه أن يأتي إبراهيم عليه السلام، فيبشره بأن الله اتخذه خليلا، فأتاه، وبشره بذلك، فحمد الله وقال: ما علامة ذلك؟

فقال: أن يجيب دعاءك، ويحيي الموتىٰ بسؤالك.

فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾، وأراد بذلك زيادة الطمأنينة في أنه هو الخليل، ويكون معنىٰ قوله تعلىٰ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [البقرة:٢٦٠] أي: ألم تصدق بعظم منزلتك عندي، واصطفائك، وخلتك؟

وفيه أيضًا وجوه أُخر غير ذلك، والله سبحانه أعلم.

ذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ خبرًا آخر من أخبار أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، الآية»، فنقل المصنف رحمه الله تعالىٰ في معناه ما جاء عن إبراهيم المُزني وجماعة من العلماء أن هٰذا الحديث يدل علىٰ نفي الشك بإحياء الموتىٰ عن إبراهيم واستحالته في حقه، ويكون معناه أنه لو كان الشك في إحياء الموتىٰ متطرِّقًا إلىٰ إبراهيم عليه الصلاة و السلام لكنت أنا أحق بالشك من إبراهيم عليه الصلاة و السلام، فلا يكون إبراهيم شاكًا ولا يكون نبينا ﷺ شاكًا، وهذا قاله متأدِّبًا متواضعًا أو أراد أن أمته يجوز عليهم الشك.

ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ وجهين آخرين نقلهما عن محمد بن إسماعيل الأصبهاني صاحب «**كتاب التحرير في شرح مسلم**» وهذا الشرح من أوائل الشروح علىٰ «صحيح مسلم»، وقد نقل منه النووي في مواضع متفرقة كثيرة من كتاب «**المنهاج في شرح صحيح مسلم لابن حجاج**» وسماه في أول موضع منه، وهذان الوجهان:

أحدهما أن يكون خرج (مخرج العادة في الخطاب من غير تصور شك من أحدهما) فكأنه يقول: (لا إبراهيم يشك ولا أنا أشك)، كمن يدافع عن أحد ببراءته من فعل فيقول «إن كان فلان فعل فأنا فعلته» ومراده من ذلك تبرئته فلا هو فعله ولا ذاك.

وذكر الوجه الثاني: وهو (أن هٰذا الذي يظنونه شكًّا أنا أولىٰ به، فإنه ليس بشك ولكنه طلب لمزيد اليقين)، فلا يكون شكًّا، وإنما أريد به زيادة يقينٍ، فسأل الله ﷻ زيادة اليقين وقوة الطُّمأنينة.

ويكون المترشِّح من هٰذه الأقوال نفي الشَّك كيف كان وجهه وهذا أحد القولين:

فإن من أهل العلم من ذهب إلىٰ وقوع الشك والجزم به.

ومنهم من قال: إن ذلك كان من إبراهيم قبل النبوة فيكون شكًّا متحققًا؛ لكنه كان قبل النبوة.

ومنهم من قال: هو شك منه لكن المراد به ما يعرض من الوساوس والخطرات في القلب دون استقراء، وقد ذهب إلىٰ ذلك ابن عباس وعطاء بن أبي رباح، والأثر المروي عن ابن عباس في ذلك جاء من وجوه يشد بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ.

والمجموع مما سلف أن أهل العلم منهم من أثبت الشك وهو مذهب ابن عباس وعطاء والمراد به ما يخطر في القلب دون استقراء.

والمذهب الثاني من نفىٰ الشك علىٰ أقوال متعددة في مأخذ ذلك.

والأظهر والله أعلم أن الشك المذكورَ في الحديث تبعًا للآية لا يراد منه ما يَنقص به صاحبه عن اليقين؛ بل هو يقينٌ في نفسه، لكنه نازل عن رتبة يقين أعلىٰ منه، فإنه ثمَّ فرق بين الوجود الذهني وبين ظهور المعلوم، فإن الإنسانَ إذا جزم ذهنه بشيء ثم رآه بعينه تجدد من علمه ويقينه به ما لم يكن معه من قبل، كما نجزم في الدنيا بوجود الجنة والنار، فإذا كان الإنسان في الآخرة ورآهما رأي العين يكون قد تجدد له يقين أعظم من يقينه السالف، فلأجل اختلاف الرتبتين والفرق بينهما سُمّيت الأولىٰ بالنسبة للثانية شكًا، فهي ليست شكًّا بمعنىٰ خلاف اليقين؛ بل هي شك في مقابل يقين أعلىٰ.

فثمَّ يقينان أحدهما يقينٌ عال والثاني يقين أعلىٰ، والأول يسمىٰ بالنسبة للثاني شكًّا، وذهب إلىٰ هٰذا أبو العباس ابن تيمية الحفيد وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالىٰ، وهذا هو الظاهر من سياق الآي.

ويشبهه قوله تعالىٰ كما ذكره ابن القيم: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، فلا يراد بالظن هنا ما يخالف اليقين؛ بل هو يقين، لكنه سمي ظنًّا بالنسبة إلىٰ ما يكون بعد ذلك من ملاقاتهم لله ﷻ، فلأجل اختلاف مرتبتي اليقين سُمِّيت الأولىٰ ظنًا وشكًا أي بالنسبة للثانية لا في نفس الأمر، فلم يكن

إبراهيم عليه الصلاة والسلام شاكًّا في إحياء الله للموتىٰ؛ بل كان متيقِّنًا، لكن لما رأىٰ ذلك رأي العين صار يقينه السابق بالنسبة إلىٰ يقينه الجديد كأنه شك، وهذا أحسن الوجوه في معنىٰ الحديث وفي تأويل الآية.

وما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ من وجوه أُخَر لأهل التفسير منها أنَّه أراد الطمأنينة بعلم كيفية الإحياء مشاهدة بعد العلم بها استدلالا، فإن علم الاستدلال قد تطرق إليه الشكوك بخلاف علم المعاينة= حسن من جهة إرادة الطمأنينة وليس حسنًا من جهة قبول تطرق الشكوك إلىٰ علم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه لم يكن ليتطرق إليه عليه الصلاة والسلام مع كمال توحيده وإيمانه بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما الجزء الثاني فمبني علىٰ خبر لم يثبت في قصة ملك الموت مع إبراهيم.

❊❊❊

أخبرنا محمد بن أبي الهيجاء بقراءتي عليه، أخبرنا الحسن بن محمد بن محمد بن البكري، أخبرنا عبد المعز بن محمد الهَرَوِي، أخبرنا تميم بن أبي سعيد الجُرجاني، أخبرنا علي بن محمد البحاثي، أخبرنا محمد بن أحمد الزَّوْزَنِي، أخبرنا محمد بن حبان الحافظ، أخبرنا الحسن بن سفيان، والحسين بن عبد الله القطان، وابن قتيبة، قالوا: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني، حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ وحده، فذكر الحديث بطوله، وفيه: قلت: يا رسول الله، كم كتاب أنزله الله؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتبٍ، أنزل علىٰ شيثٍ خمسين صحيفةً، وأنزل علىٰ أخنوخ[1] ثلاثين صحيفةً، وأنزل علىٰ إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزَّبور، والفرقان».

قال: قلت: يا رسول الله؛ ما كانت صحف إبراهيم؟

قال: «كانت أمثالًا كلها: أيها المَلِك المسلَّطُ المبتلىٰ المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها علىٰ بعض، ولكن بعثتُك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وعلىٰ العاقل ما لم يكن مغلوبًا علىٰ عقله أن يكون له ساعات: ساعةٌ يناجي فيها ربه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسَه، وساعةٌ يتفكر فيها في صنع الله، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلىٰ العاقل أن لا يكون ظاعِنًا إلا لثلاثٍ: تزود لمعادٍ، أو مَرمَّةٍ[2] لمعاشٍ، أو لذةٍ في غير محرمٍ، وعلىٰ العاقل

---

(١) **أخنوخ**: إدريس عليه السلام، هٰذا لقب له، يقال أخنوخ، ويقال: أُخلوق أيضًا ويقال: خلوخ بدون همزة.

(٢) **أو مرمّةٍ لمعاش**: يعني إصلاح لمعاش.

أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلًا علىٰ شأنه، حافظًا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قـل كلامـه إلا فيمـا يعنيه.

قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسىٰ؟

قال: «كانت عبرًا كلها: عجيبٌ لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح! عجيبٌ لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك! عجيبٌ لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب! عجيبٌ لمن رأىٰ الدنيا وتقلُّبها بأهلها ثم هو يطمئن إليها! وعجيبٌ لمن أيقن بالحساب غدًا ثم لا يعمل».

وذكر بقية الحديث بطوله.

كذا أخرجه ابن حبان في «صحيحه» بتمامه.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ خبرًا آخر من الأخبار المتعلقة بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو حديث أبي ذر الغفاري عند ابن حبان في «صحيحه» وفيه أن المنزل علىٰ إبراهيم عشر صحائف، وأن صحف إبراهيم كانت أمثالًا، وهذا الحديث من أحطِّ الأحاديث التي أخرجها ابن حبان في «صحيحه» فإن إبراهيم ابن هشام كذاب، وهذا الحديث حديث طويل مشهور فيها عدة الكتب وعدة الأنبياء وعدة الرسل إلا أنه لا يصح.

***

أخبرنا شيخنا أبو الفضل سليمان بن حمزة، وعيسىٰ بن معالي، وعبد الأحد بن أبي القاسم الحنبليون، بقراءتي، قالوا: أخبرنا عبد الله بن اللَّتِّي، أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا حضورًا، أخبرنا محمد بن محمد الزينبي، أخبرنا محمد بن عمرو بن زُنبور(١)، حدثنا عبد الله بن سليمان الحافظ، حدثنا علي بن محمد بن أبي الخَصِيب، حدثنا وكيع، عن مِسْعَر، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قام فينا رسول الله ﷺ بالموعظة فقال: «إنكم محشورون عُراةً غُرلًا، فأوَّل الخلائق يُكْسىٰ إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ألا وإنه يجاء برجالٍ منكم، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المائدة:١١٧]» الآيتين.

رواه البخاري في «الصحيح»، عن محمد بن كثير، عن سفيانَ الثوري، عن المغيرة بن النعمان به.

---

(١) قال شيخنا: ليس في أسماء العرب (فَعْلُول)، ولذلك لا يقال (بَهْلول) وإنما يقال (بُهْلول)، ولا (زَنبور) وإنما (زُنبور).

والمراد بهؤلاء الذين ذكروا في هٰذا الحديث هم أهل الردة، الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ. والله أعلم.

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ خبرًا آخر من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام. هو مخرج في «صحيح البخاري» وهو حديث ابن عباس وفيه من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه **أول الخلائق يكسىٰ**، وهذا من فضائله عليه الصلاة والسلام، فإن الخلق يحشرون عراة غلا، ثم يكون أول من يكسىٰ منهم هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومعنىٰ «غُرلًا» أي: غير مختونين.

وهنا لطيفة من لطائف العلم وهو أن الإنسان في الدنيا مأمور بالختان، فالختان في أصح أقوال أهل العلم واجب علىٰ الرجال، فإذا كان يوم القيامة أعيدت إليه تلك القطعة التي أبعدت من جسده، وحشر عليها وبقي علىٰ هٰذه الصورة، فلأي شيء وقع هذا؟

من لطائف أبو الوفاء ابن عَقيل الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ما أبداه في ذلك فقال: إنهم لما تعبَّدوا الله بإبعاد هٰذه القطعة من أجسادها أعادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إليهم لتذوق من اللذة ما يذوقه باقي الجسد من النعيم في الجنة إذا أدخل أهلُها، ولم يذكر أيضًا ما يكون لأهل النار.

فيكون أيضا تعذيب أهل النار بإجراء ذلك العذاب علىٰ تلك القطعة، فيُعاد الإنسان إلىٰ ما خلق عليه أولا ليْكمَل نعيمه في اللذة ويكمل عذابه في النقمة.

❊❊❊

وأخبرنا محمد بن مشرف التاجر، وأحمد بن أبي طالب المعمَّر[1]، ووزِيْرَةُ بنت عمر بن أسعد، قالوا: أخبرنا الحسين بن أبي بكر الرِّبْعِي، أخبرنا أبو الوقت عبدُ الأول، أخبرنا عبد الرَّحمٰن بن المظفر، حدثنا عبد الله بن حمويه، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا الإمام محمد بن إسماعيل، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، أخبرني أخي عبد الحميد، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبُري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «يلقىٰ إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلىٰ وجهه أثرُ قَتَرَة وَغَبَرَة، فيقول له إبراهيم صلوات الله عليه: ألم أقلُ لكَ لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ربي إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي: خزي أخزىٰ من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالىٰ له: إني حَرَّمت الجنة علىٰ الكافرين، ثم يقال: ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بِذِيخٍ مُتَلَطِّخٍ، فيؤخذ بقوائمه، فيُلقَىٰ في النار»، كذا رواه «البخاري».

---

(١) **قال شيخنا: معمَّر**: يعني كبير السن، المعمر عند المحدثين هو من كان عمره ثمانين سنة فما فوق، فمن عمره ثمانون سنة فما فوق يُسمىٰ معمَّرًا، وهذا ابن أبي طالب المُعمَّر هو الحَجَّار، وقد عاش فوق المائة رَحِمَهُ اللَّهُ.

والذِّيخُ، بكسر الذال المعجمة، وإسكان الياء -آخر الحروف- وبعدُها خاء معجمة، وهو ذكر الضباع، والأنثىٰ منه: ذِيْخَة.

ومعنىٰ الحديث: أن الله تعالىٰ يغيِّر صورة أبي إبراهيم عليه السلام علىٰ هيئة ضبعٍ ذكرٍ متلطخٍ، إما برجيعه، أو بالطين، كما جاء في رواية الحديث في غير الصحيح: «بذيخٍ أَمْدَر» أي: متلطِّخٍ بالمدر، فيزول عنه ما يجده من عذاب الله».

والله سبحانه أعلم.

ذكر المصنف رحمه الله حديثًا آخر من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفيه أنه يلقىٰ (أباه آزر يوم القيامة علىٰ وجهه أثر القترة الغبرة)، أي علىٰ وجه أبي إبراهيم قَتَرة وغَبَرة، والقترة هي السواد، والغبرة هي اسم ما يعلق بالوجه من الغبار.

ثم يقول إبراهيم: «ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم يا ربي إنك وعدتني أن لا تخذني يوم يبعثون فأي خزي أخزىٰ من أبي الأبعد؟» أي أي خزي أعظم من أن يكون أبي الأبعد، يعني علىٰ هٰذه الحال من البعد عن الله تعالىٰ، «فيقول الله تعالىٰ: إني حرمت الجنة علىٰ الكافرين» أي أني لن أدخله الجنة، «ثم يقال ما تحت رجليك؟ -وفي لفظ انظر ما تحت رجليك- فينظر إبراهيم فإذا هو بِذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقىٰ في النار»، والذِّيخ كما ذكر المصنف **ذكر الضباع**.

وإنما جعل آزر علىٰ هٰذه الصورة كما ذكر ابن حجر في «فتح الباري» وغيره لأن الذِّيخ من أحمق الحيوانات، وكان آزر من أحمق البشر إذ لم يجب دعوة ابنه؛ فجعل علىٰ صورة مناسبة له في حال حمقه.

ثم قال: (ومعنىٰ الحديث أن الله يغير صورة أبي إبراهيم -يعني آزر- علىٰ هيئة ضَبُعٍ ذكر)، فينقله من الآدمية في الصورة الظاهرة إلىٰ صورة «ضبع ذكر متلطخ إما برجيعه» يعني بروثه الذي يخرج منه «أو بالطين» كما جاء في روايةٍ في الحديث غير الصحيح وهي عند أحمد بن منيع في «مسنده» وإسنادها ضعيف وفيها «بذيخ أمدر»، والأمدر المتلطخ بالمدر هو الرجيع الذي هو روثه أو الطين، وقيل هو المنتفخ عظيم الجانبين، كما ذكره أبو عبيدة القاسم بن سلام، لكن أكثر الشرَّاح علىٰ المعنىٰ الأول، بل إن أبا عبيد لم يستبعد اقتصاره علىٰ هٰذا المعنىٰ في حق وصف أبي إبراهيم في هٰذا الحديث.

وقول المصنف: «فيزول عنه ما يجده من عذاب الله» كلامٌ مبهم لما فيه من الضمائر المبهمة التي لا تدل علىٰ عائدٍ قريب، فليس معنىٰ الكلام «فيزول عنه ما يجده من عذاب الله»، أنه يزول عن أبي آزر ما يلقاه من العذاب؛ لأنه في الحديث «فيؤخذ بقوائمه فيلقىٰ في النار» يعني تعذيبًا له، لكنَّ معنىٰ هٰذه

الجملة (**فيزول عن إبراهيم ما يجده بتعذيب أبيه في النار**)، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كره أن يلحقه نقصٌ إذا رأىٰ الناسُ أباه معذّبًا في النار، فجعل علىٰ صورة لا يعرفها الناس، فيكون آزر في النار معذبًا علىٰ صورة ضبُع ذكر، وينتفي بذلك الوجد والحَزَن عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأن أباه لا يكون علىٰ الصورة التي يعرفها منه الخلق في الدنيا، هٰذا معنىٰ هٰذه الجملة.

وبهذا الحديث يُلغَز بحيوانٍ يعذب في النار، لأن الحيوانات لا يجري عليها قلم التكليفِ من العذاب والنعيم؛ لكن في هٰذا الحديث إثبات أن في النار حيوان يعذب، وهو أبو إبراهيم إذا جعل علىٰ هٰذه الصورة وهو مختص به دون غيره.

❊❊❊

وبه إلىٰ «البخاري» حدثنا عبيد الله بن موسىٰ أو ابن سلَّام[1] عنه، أخبرنا ابن جريج، عن عبد الحميد بن جبير، عن سعيد بن المسيب، عن أم شَريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزَغ، وقال: «كان ينفخ علىٰ إبراهيم عليه السَّلام» يعني لمَّا أُلقي في النار.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ حديثًا آخر عن إبراهيم من أخباره وفيه أن الوزغَ «كان ينفُخ علىٰ إبراهيم في النار»، وهو حديث مخرَّج في «صحيح البخاري» وغيره، وهذا الحديث يتضمَّن بيان فساد هٰذا النوع من الدوابِّ، وعظيم ما فيه من الشر كما ذكره البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فإنه من مزيد فساده وعظيم شره أنه كان ينفخ علىٰ إبراهيم، وكان ممن يعين المشركين علىٰ ما أرادوا به إبراهيم بتحريقه بالنار، لأجل هٰذا أُمر بقتل الوزر ثأرًا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإن هٰذه الدابة كانت تعين علىٰ قتله فصار للموحدين معها ثأرٌ.

ورُتِّبت الحسنات الكثيرات علىٰ قتله في المرة الأولىٰ، فمن قتله في المرة الأولىٰ له مائة حسنة بخلاف من قتله في الثانية فإنها دون ذلك، ومن أسرار ترتيب الحسنات تدليًّا فيه كما ذكر العز بن عبد السلام في قواعده؛ امتثال أمر الشريعة في إحسان القتل، فإن الذي يقتل في أول مرة يعاجل المقتول فيكون أعظم أجرًا ولأجل هٰذا جعل أجره أعظم.

❊❊❊

---

(١) قال شيخنا: **ابن سلّام**، وفيها قولان وهو محمد بن سلّام البَيْكَنْدِي؛ لكن الصحيح أنه بالتشديد ولا يوجد في التخفيف في أسماء الرواة إلا سلَام، والد عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخبرنا القاسم بن مظفر الدمشقي، وبه[1] حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي الضحىٰ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]».

وبه حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضحىٰ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان آخر قول إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل».

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ خبرًا آخر من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو حديث ابن عباس الثابت عند «البخاري» أن إبراهيم قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» لما ألقي في النار، وفي الرواية الأخرىٰ أن هٰذا هو آخر قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفيه بيان عظيم إقباله علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وتفويض أمره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وقد تبعه ابنه محمد ﷺ فإنه لما قال الناس له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] فقال هو وأصحابه هٰذه الكلمة: حسبنا الله ونعم الوكيل، فزادهم إيمانًا وانقلبوا بنعمة من ربهم وفضل.

❊❊❊

أخبرنا القاسم بن مظفر الدمشقي، عن محمود بن إبراهيم الأصبهاني قال: أخبرنا الإمام أبو عبد الله الرَّسْتُمِي، أخبرنا أبو عمرو بن منده، أخبرنا أبي الحافظ أبو عبد الله، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد، حدثنا عمرو بن علي، ومحمد بن بشار قالا: حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسىٰ، والرؤية لمحمد ﷺ؟».

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ خبرًا آخر من أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو ما صح عن ابن عباس فيما رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» وعبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» في آخرين أن ابن عباس قال: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسىٰ، والرؤية لمحمد ﷺ؟» وهذا الأثر إسناده صحيح، وفيه إثبات الخلة لإبراهيم وهي ثابتة بصريح القرآن والسنة.

---

(١) (وبه) يعني الإسناد المتقدم إلىٰ البخاري، وهذا يسمىٰ اختصار السند، الذي لم يذكره المصنفون في علوم الحديث، فإن المصنفين في علوم الحديث يذكرون اختصار الحديث ثم يتكلمون عن اختصار المتن فقط، وأهل الحديث يختصرون السند كما يختصرون المتن ومن طرائق اختصارهم للسند مثل هٰذا الموضع.

ومعنىٰ قوله هنا: «والرؤية لمحمد ﷺ» أي: أنه رأىٰ ربه.

وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ في المنقول عن ابن عباس في إثبات الرؤية، هل مراده الرؤية القلبية العلمية أم الرؤية البصرية العينية. والصحيح من القولين أن ابن عباس أراد أنه رأىٰ ربه بفؤاده أي بقلبه ولا يريد أنه رآه بعينيه، وإلىٰ هٰذا ذهب المحققون كأبي العباس ابن تيمية الحفيد وتلميذه ابن القيم رحمهم الله تعالىٰ.

ولا يراد بهذه الجملة اختصاص إبراهيم بالخلة ولا اختصاص موسىٰ بالكلام، فإن محمدًا ﷺ خليل ربه وقد كلم ربه وكلمه ربه ﷻ كما في حديث الإسراء، لكن ابن عباس أراد التنبيه إلىٰ المرتبة الأعظم لمحمد ﷺ لجمعه الخلة والكلام والرؤية، فهو أراد أن محمدًا ﷺ جمع ما كان عند النبيين الماضيين وزاد بالرؤية إلىٰ ربه ﷻ.

***

وبه إلىٰ أبي عبد الله ابن منده، أخبرنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا عبدة بن عبد الله، حدثنا محمد بن بشر، حدثني أبو حيان التيمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع، فكان يعجبه، فنهش منها نهشةً، فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله تعالىٰ يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس منهم، فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلىٰ ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون إلىٰ من يشفع لكم؟».

فذكر الحديث، وفيه: «فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، فاشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله ولا مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كَذَبَاته، نفسي نفسي»، وذكر بقية الحديث، وهو متفق عليه من هٰذا الوجه بتمامه.

وكذباته التي أشار إليها ﷺ ليست كَذَبَات علىٰ الحقيقة، وإنما هي كما أخبرنا محمد بن مشرف ومن معه، ذكر بسندهم المتقدم إلىٰ البخاري، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد- يعني ابن سيرين- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله، قوله: «إني سقيم» ، وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا» ، قال: وبينا هو ذات يوم وسارّة، إذ أتىٰ علىٰ جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلًا معه امرأةٌ من أحسن الناس،

فأرسل إليه، فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي! فأتي بسارة[1]، فقال: يا سارة، ليس علىٰ وجه الأرض مؤمنٌ غيري وغيرك، وإن هٰذا سألني [عنك] ، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني. فأرسل إليها، فلما دخلت عليه، ذهب يتناولها بيده، فأخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، قال: فدعت الله، فأطلق، ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله ولا أضرك، فأطلق.

فدعا بعض حجبته فقال: لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني بشيطان! فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائمٌ يصلي. فأومأ بيده مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره، وأخدم هاجر».

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فتلك أمكم يا بني ماء السماء».

كذا أخرجه موقوفًا.

ورواه قبل ذلك مختصرًا عن سعيد بن تليد، عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاثًا».

قال العلماء رحمهم الله: هٰذه الثلاث كلها خارجةٌ من الكذب، لا في القصد، ولا في غيره، وهي داخلةٌ في باب المعاريض التي فيها مندوحةٌ عن الكذب.

أما قوله: «إني سقيمٌ» ، فقصد به أنه سقيم القلب مما شاهده من كفرهم وعنادهم، وقيل: بل كانت الحمىٰ تأخذه عند طلوع نجمٍ معلوم، فلما رآه اعتذر بعادته، وقيل: بل سقيم بما قدر عليه من الموت، وكل هٰذا ليس فيه كذب، بل هو صدق صحيح.

وأما قوله: «بل فعله كبيرهم هذا» ، فإنه علق خبره بشرط نطقه، كأنه قال: إن كان ينطق فهو فعله، علىٰ طريقة التبكيت لقومه، وهذا صدقٌ أيضًا ولا خُلف فيه.

وأما قوله «أختي» فقد بين في الحديث وقال: «لأنك أختي في الإسلام» ، وهو صدقٌ أيضًا.

وأما قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «ويذكر كذَبَاته» ، وقوله: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثًا» ، فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب –وإن كان حقًا في الباطن– إلا هٰذه الكلمات.

ولما كان ظاهرها خلاف باطنها، أشفق إبراهيم عليه الصلاة والسلام منها أن يؤاخذ بها، لعلي مقامه.

وأما قوله ﷺ: «ثنتين منها في ذات الله» ، فلأن المتعلق بسارَّة تضمَّن نفعًا له وحظًّا، وإلا فهي في

---

(١) **سارّة** فيها التشديد والتخفيف، لكن الأكثر علىٰ التشديد.

ذات الله أيضًا، لأنها تسبب بها عن دفع كافرٍ عن مواقعة فاحشةٍ عظيمةٍ.

وعند «الترمذي» في حديث الشفاعة من رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول إبراهيم: «إني كذبت ثلاث كذباتٍ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما منها كذبةٌ إلا ماحل[1] بها عن دين الله».

فبين النبي ﷺ أن هٰذه الكذبات ليست داخلةً في مطلق الكذب المفهوم، بل لو لم يكن لها وجهٌ كانت جائزةً لما تتضمنه من إعلاء كلمة الله، ودفع المفسدة عن سارّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والله سبحانه أعلم.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ خبرًا آخر من الأخبار المتعلقة بإبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو ما جاء في حديث الشفاعة المخرج في «الصحيحين» وفيه أن إبراهيم يعتذر عما يطلبه منه الخلق من الشفاعة ويذكر كذباته، وهؤلاء الكذبات ليست كذبات علىٰ الحقيقة كما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وإنما نسبت إلىٰ الكذب باعتبار الصورة الظاهرة، والشيء قد يعطىٰ اسمًا باعتبار الصورة الظاهرة وإن كان يخالفه علىٰ الحقيقة، فهذه الأمور سميت كذبًا باعتبار الصورة الظاهرة وإلا فهي داخلة في باب المعاريض كما ذكر العلماء.

والمراد بالمعاريض الكلام الذي يطلق وله وجهان، أحدهما ظاهر ولا يراد والآخر خفي هو المراد، وهو من جنس التورية عند علماء البديع.

وقد بين المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وجه كونها من المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب، يعني سعة عن الكذب فقال: (وأما قوله فإني سقيم قصد به سقيم القلب مما شاهده من كفرهم).

ثم ذكر قولًا آخر وهو (من كانت الحمَّىٰ تأخذه عند قلوع نجم معلوم، فلما رآه اعتذر بعادته)، وهذا الوجه استبعده ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «فتح الباري» وقال: «لأنه لو كان كذلك لم يكن كذبًا تصريحًا ولا تعريضًا».

ثم قال: (وقيل: فالسقيم لما قدر عليه من الموت، وكل هٰذا ليس فيه كذب بل هو صدق صحيح).

والظاهر والله أعلم أن معنىٰ قوله عليه الصلاة والسلام: «إني سقيم» أن معناه إني مريض، فكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام تنتابه الأمراض فيما يظهر، وإن لم يكن علىٰ ذلك في تلك الحالة، فالرجل الذي يكون معه مرض يأخذه كثيرا في العام يسمىٰ مريضًا، وإن فارقه بعض الأحوال، فقول إبراهيم: «إني سقيم» أي قد عرفتم ما شُهِر عني من حالي أني مريض، فهو معروف بدوام المرض عليه، وإن لم يكن في

---

(١) قال شيخنا: ما حل بها يعني ما دافع بها.

تلك الحال ممسوسا بالسقَّم الذي يعتاده، والدال علىٰ هٰذا موضع له هٰذا اللفظ، فإن معنىٰ «إني سقيم» يعني إني مريض وتوجيهه ينبغي أن يكون علىٰ هٰذا الوجه، وأنت قد تخبر عن إنسان ينتابه مرض إذا سئلت عن فلان فتقول: إنه مريض، وقد لا يكون في تلك الحال علىٰ المرض؛ لكن له مرض ينتابه، وربما ارتفع منه في وقت ثم عاد إليه في آخر، ولا يفارقه اسم السقم، **وهذا أحسن ما يكون في تأويل هٰذا الحرف.**

(وأما قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣])، فإنه معلَّق بشرط نُطقه علىٰ الصحيح كما ذهب إليه المصنف، فمعنىٰ الكلام إن كان ينطق فهوفعله، علىٰ طريق التبكيت لقومهم؛ أي علىٰ طريق ذمهم وتحزينهم وانتقاصهم علىٰ ما يفعلون، وهذا صِدْقٌ لا خُلْفَ فيه.

(وأما قوله أختي) فقد بينها الحديث أن في أختي في الإسلام وهو صدق أيضًا.

فهؤلاء سميت كذبا باعتبار الظاهر وإن كانت في الباطن علىٰ خلاف ذلك.

وقوله في الحديث: «ثنتين منها في ذات الله»، يعني في حق الله ولأجل أمر الله؛ فلأن المتعلق بسارة تضمن نفعًا له وحظًّا، وإن كان أيضًا تتعلق بذات الله؛ لأنها تسببت في دفع الكافر عن مواقعة فاحشة عظيمة، لأنه لو أخبره أنها زوجته ثم أصر علىٰ ذلك فيكون قد اقترفَ فاحشة عظيمة؛ لكنه صيرها أختًا له.

ثم ذكر ما جاء عند الترمذي: «ما منها كذبة إلا ماحل بها عن دين الله»، وإسناده ضعيف، والمقصود به أن هؤلاء الكلمات ليست كلمة وإنما استساغَها إبراهيم طلبًا لإعلاء كلمة الله ودفعًا للمفسدة عن سارة، ووقع هنا الترضي عنها وهو أمر واسع، لأن الترضي دعاء وإن كان الغالب اختصاصه بالصحابة رضوان الله عنهم.

وقوله في حديث الشفاعة هٰذا لقصة إبراهيم: «فأومأ بيده مَهيًا» وقع في بعض الروايات «مَهْيَم» وهي المعروفة في كلام العرب؛ يعني: ما هٰذا الأمر، ثم رواها بعض رواة البخاري علىٰ هٰذه الصفة «ناهيا» وهي بمعنىٰ مهيم أي الخبر.

ومعنىٰ قوله: «فتلك أمكم يا بني ماءَ السماء»، يعني فتلك أمكم أيها العرب؛ لأن العرب كانت تتبع قطر وتنزل حيث كثر القطر ونما العشب، فسموا بني ماء السماء لأجل ذلك، وقيل: لخلوص نسبهم وقيل غير ذلك، والمعنىٰ أن هاجر هي أم العرب.

وبهذا استدل من استدل بأن العرب جميعًا كلهم من ذرية إسماعيل لا فرق بين عدناني ولا قحطاني

وهذا القول هو القول الصحيح الذي تدل عليه الأدلة، واختاره جماعة من المحقِّقين كمحمد بن إسحاق والزبير بن بكّار والبخاري.

❊❊❊

أخبرنا أبو الفضل سليمان بن حمزة، وعيسىٰ بن عبد الرَّحمٰن المقدسيان قالا: أخبرنا جعفر بن علي المقرئ، أخبرنا أحمد بن محمد السِّلَفي الحافظ، أخبرنا أحمد بن عبد الغفار بن أشتة، حدثنا محمد بن علي النقاش الحافظ، أخبرنا الحسين بن محمد التستري، حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن عباد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يزور إسماعيل عليه السلام علىٰ البراق، وهي دابة جبريل، تضع حافرها حيث ينتهي طرفها، وهي الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة أسري به.

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولد بغوطة دمشق، بقرية يقال لها بَرْزَة، قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: الصحيح أنه ولد بكوثا، من إقليم بابل بالعراق، وإنما نسب إليه هٰذا المقام الذي ببرزة، لأنه صلىٰ فيه إذ جاء معينًا للوط عليهما السلام. وقيل: كان آزر أبو إبراهيم من حرَّان.

وتقدم عن سعيد بن المسيب أن إبراهيم عليه السلام عاش مائتي سنة.

وذكر كعب الأحبار وغيره، أن سبب وفاة إبراهيم صلوات الله عليه أنه أتاه ملك في صورة شيخ كبير، فتضيفه، وكان يأكل ويسيل طعامه ولعابه علىٰ لحيته وصدره، فقال له إبراهيم: يا عبد الله ما هذا؟

قال: ولعابه علىٰ لحيته وصدره، بلغت الكبر الذي يكون صاحبه هكذا.

قال: وكم أتىٰ عليك؟

قال: مائتا سنة.

ولإبراهيم عليه الصلاة والسلام يومئذٍ مائتا سنة، فكره الحياة لئلا يصير إلىٰ هٰذه الحال، فمات بلا مرض.

وكذلك قال أبو السكن الهجري: توفي إبراهيم وداود وسليمان صلىٰ الله عليهم وسلم فجأة، وكذلك الصالحون، وهو تخفيف علىٰ المؤمنين، ورحمةٌ من حق المراقبين.

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أنباء أخرىٰ من خبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام منها حديث أبي هريرة

قال: «كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يزور إسماعيل علىٰ البراق»، وهذا الحديث رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» وغيره وإسناده ضعيف جدّا.

وما في الحديث من وصف البراق من أنها دابة تضع حافرها حتىٰ ينتهي طرفها يعني بصرها، هٰذا ثابت في «الصحيحين» من حديث أنس، لكن كون إبراهيم كان يزور إسماعيل عليها لم يثبت.

ثم ذكر أيضا ما روي عن ابن عباس أن (إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه ولد بغوطة دمشق بقرية يقال بها بَرْزَة) وهذا أيضا لا يثبت، وبرزة قرية معروفة من قرىٰ دمشق.

ثم ذكر عن أبي القاسم ابن عساكر صاحب التاريخ أن الصحيح أن إبراهيم ولد بكوثا من إقليم بابل، وهي قرية من قرىٰ العراق يقال لها «كوثا ربَّا» تمييزًا لها عن مواضع أخرىٰ تسمىٰ بكوثا.

ثم قال ابن عساكر: (وإنما نسب إليه هٰذا المقام الذي ببرزة) أي المشهد المعروف الموضوع ببرزة منسوبا إلىٰ إبراهيم، وكان قد بُني عليه قبة (لأنه صلىٰ فيه إذ جاء معين للوط عليه السلام)، وهذا مما لا تعرف صحته ولم يثبت كونه صلىٰ فيه عليه الصلاة والسلام، ولو ثبت ذلك فإننا نهينا عن تتبع آثار الأنبياء، وقيل: (كان آزر أبو إبراهيم كان من حرَّان) وهي حران من جهة العراق، وتقدم من سعيد بن المسيب أن إبراهيم عليه السلام عاش مائتي سنة، وهذا شيء مشهور عند الأخباريين وإن كان لم يثبت فيه شيء من المروي بسند صحيح عنه.

ثم أورد خبرًا من الإسرائيليات عن كعب الأحبار، وهو كعب بن ماتع التابعي المعروف في قصة وفاة إبراهيم، ثم أتبعه بالنقل عن أبي السكن الهَجْرِي في قصة وفاة الأنبياء، وكل ذلك من الأخبار المأثورة عن بني إسرائيل ولم يثبت خبر خاص بطريق النقل المعروف عند هٰذه الأمة.

وما ذكره من موت الفجأة أنه يكون تخفيفًا علىٰ المؤمنين ورحمة في حق المراقبين؛ هٰذا صحيح.

وقد يقع عذابا كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «موت الفجأة أَخْذَةُ أسف» والأسف شدة الغضب، فيكن ذلك في حق من كان مخالفا لأمر الله ﷻ فيكون مبادرة بتعجيله إلىٰ العذاب بخلاف الصالحين فيكون تخفيفًا عليهم.

❊❊❊

وقد وقع لنا حديث متصل السند إلىٰ إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه من رواية سيدنا رسول الله ﷺ عنه: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن ممدود الصوفي، أخبرنا محمد بن علي بن الهني ببغداد سنة ٦٤٩، أخبرنا عبد العزيز بن محمود الأخضر، أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي.

(ح) قال شيخنا: وأنبأنا عبد الخالق بن أنجب المعمر، عن الكروخي هذا، قال: أخبرنا محمود بن القاسم الأزدي، وأحمد بن عبد الصمد الغُورَجِي، وعبد العزيز بن أبي نصر التريقي، قالوا: أخبرنا عبد الجبار بن محمد الجَرَّاحي، أخبرنا محمد بن أحمد المَحْبُوبِي، حدثنا محمد بن عيسىٰ الترمذي، حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن عبد الرَّحمٰن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعانٌ، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر».

وفيه قال الترمذي: هٰذا حديث حسن.

ختم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ الأخبارَ المتعلقةَ بإبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث، وقد ذكر أنه متصل السند إلىٰ إبراهيم؛ لأن النبي ﷺ قال فيه: «لقيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليلة أسري به»، فيكون متصلا بذلك، والذي لقيه النبي ﷺ إنما هو روحه، وكذلك سائر الأنبياء الذين لقيهم النبي ﷺ إنما لقي أرواحَهم كما يقع للإنسان في منامه أنه يلقىٰ إنسانا في صورته، وهو قد مات فيراه في صورة جسده ويكون ما رآه هو روحه، وهذا الحديث قد شُهر بذكر اتصال سنده إلىٰ إبراهيم.

وذكره جماعة منهم العلائي ومنهم النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» والعجلوني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ؛ بل جعله بعض المتأخرين مسلسلًا بالرواية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لاتصال سنده بالرواية إلىٰ النبي ﷺ قال: «لقيت إبراهيم» وهذا الحديث قد رواه الترمذي وأخرجه المصنف من طريقه، فأسنده من طريق الترمذي وإسناد هٰذا الحديث ضعيف، ولا يثبت من وجوه روي منها.

ومعنىٰ قوله في الحديث «وأنها قيعان» القيعان جمع قاع وهو المكان المستوي الواسع والمراد أن الجنة مستوية واسعة.

***

وقلت أمدَح الخليل عليه الصلاة والسلام:

عرِّج هُديت علىٰ المقام معظما ... إن كنت تبغي أن تحوز المغنما

والْثَم[1] بأبواب الخليل ترابَها ... وقل السلام عليك يا مولًىٰ سمَا

---

(١) (والثم) اللثم يعني التقبيل.

يـا مـن لـه في المَكرُمـات مفـاخرٌ ... ليست تُعَد وكيـف تحصـىٰ الأنجمـا
يـا سـيدًا يحمـي النزيـل بجاهـه ... يـا أوحـدًا يعطـي الجزيـل تكرُّمـا
يا من له الكرمُ العميم علىٰ المدىٰ ... يَقْري الضيوفَ ولا يخـاف المَغرمـا
يـا أمـةً في النـاس فـردًا قانتًـا ... لله بـرًّا شـاكرًا مَـن أنعمـا
يـا مـن لـه النـار العظيمـة أطفئت ... مـن بعـد مـا كانـت بهـولٍ قـد طَمـا(١)
مُذ حزت في التفويض صدق توكلٍ ... أصبحت مـن ذاك الجحيم مُسَلَّما
لـم تلتفـت إلا لربـك وحـده ... هـذا الفَخَار فمـن يـروم تقـدما
يا من له الصبر الذي ما مثله ... في ذبح مهجة قلبه إذ أسلما
ففداه رب العرش بالكبش الذي ... وافاه جبريل به قد عُظِّما(٢)
يا باني البيت الحرام ورافعًا ... منه القواعد داعيًا رب السما
ومؤذِّنًا في الناس بالحج الذي ... فيه الذنوب تُحَطُّ عمَّن أجْرَما
يا أوّلًا في الناس يكسىٰ حُلَّة ... يوم القيامة سابقًا ومكرما
يا من له شُرع الختان مطهِّرًا ... من كل عيب لا يزان مؤثما
وله خصال الفطرة العشر التي ... كان الختان لنا ختامًا تَمَّما
وله الطيور حَيِين وهو مشاهد ... لما دعاها بعد موت عمما
لم يطلب الإحياء من شكٍّ به ... لكن إلىٰ عين اليقين قد ارتمىٰ
لك يا خليل الله كلُّ فضيلة ... قد حُزت أجمعها حنيفًا مسلما
يكفيك أن الأنبياء جميعَهم ... من تأخر بعثُه وتقدما
ونظامهم بختامهم مولىٰ الورىٰ ... مُولي الجَدىٰ(٣) علم الهدىٰ شافي العمىٰ
خير الأنام محمد من قدره ... فوق البرية كلهم فضلا سما
ذي المعجزات الباهرات ومن له ... يوم المعاد شفاعةٌ تروي الظما
من حاز بالإسراء فضلا باهرًا ... ورآك ليلة ذاك في أعلىٰ سما
ولقيته بالبشر والترحيب إذ ... وافاك صُحبة جبرائيل مسلِّما

---

(١) (طما) يعني عظُما.
(٢) (قد عُظّما) يعني الكبش عظم.
(٣) (الجدىٰ) يعني العطية

ودعوتـــه ولـــدًا نبيًـــا صـــالحًا ... فلـــك الهنـــاء بمثلـــه متقـــدما
وروىٰ لأمتـــه الـــذي أوصـــيته ... فغدا الحديث بـذاك عنك مترجما
أصـــبحت والـــدَه وكنـــت وليَّـــه ... مـن بـين كـل الرسـل نحـوك يمَّمـا
ولقـد غـدا مـن بـين وُلْـدِك كلِّهـم ... لـــك مشْـــبِهًا في خلقـــه إذ كرمـــا
وكـذاك في أخلاقـك الطَّهـر التـي ... أوحـــىٰ إليـــه الله فيهـــا مُعْلِمَـــا
ودعـــوت ربِّ الخلـــق في إرســـاله ... للحـــق يتلـــو والكتـــاب معلمـــا
فأُجِبـــت في هٰـــذا الـــدعاء فأنتمـــا ... أجـرَ الـذين هُـدوا بـذلك حُزتمـا
فعليكمـــا منـــي الســـلام تحيَّـــة ... مـا أظهـرت شـمس الظهيـرة مبسـما
وصـلاة رب العـرش تـترىٰ دائمـا ... تُهـدي سـنا البركـات منـه إليكمـا
بكمـا مـلاذي في الـورىٰ وتوسُّـلِي ... ومُعـــوَّلي في النائبـــات عليكمـــا
وإليكمـــا دون الأنـــام تـــوجُّهي ... أبغـي الشـفاعة عنـد ربـي منكمـا
هـــا يـــا خليـــلَ الله دعـــوةُ خـــادم ... لـك نـازل بحمـاك يرجـو الأنعمـا
لا يخشىٰ[1] من رَيْبِ الزمان وجـوره ... مُـذْ حـل في هٰـذا الحمـىٰ مستعصـما
ولقـد أتتـه بشـارة مـن صـادق ... رؤيـا منـام كـان أمـرًا مُحْكَمـا
إني وقفـت ببابـك الرحـب الـذي ... أرقـىٰ بـه نحـو المعـالي سُـلَّما
ولقيـــت منـــك مـــبرَّة وكرامـــة ... وصـــيانة أحـــرزتُ منهـــا مغنمـــا
فلـي الهنـاء بـذاك إن نِلْـت المنـىٰ ... منـــه تأويـــل يريـــك المُبهمـــا
ولـذا أتيـت إلـىٰ جنابِـك مُسـرعا ... متخضِّـــعًا وجعلتـــه لـــي مَنْسَـــما
وقصـدتُّ بابـك سـائلًا مسـتجديًا ... متأسِّـــفًا متلهِّفًـــا متنـــدِّمًا
فكـــن الشـــفيع إلـــىٰ إلهـــك علـــه ... يعفـو ويـولي الصـفح عمـن أجرمـا
واســـأَلْه إصـــلاحًا لحـــالي دائمًـــا ... واللطـف بـي فيمـا قضـىٰ فتحكمـا
واســـأله علمًـــا نافعًـــا أحيـــىٰ بـــه ... يبقـــىٰ وإن أبلـــىٰ الـــترابُ الأعظُمـــا
صـــلىٰ عليـــك الله كـــل عشـــية ... وكـــذا الملائكـــة الكـــرام وســـلَّما
وعلـىٰ الـذين ولـدتهم مـن مجتبـىٰ ... برســـالة ونبـــوة قـــد أكرمـــا

---

(١) (**لا يخشىٰ**) ينكسر البيت، لعلها (لا يخش من ريب الزمان وجوره).

وسـقىٰ معاهـد بَلْـدة جاورتهـا مــن غيــر إفســادٍ [....](١)
وأنالهـا ربـي الأمـان وكيـف لا وبجاهكَ المأمولِ قد أضحت حما
تمت وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم.

ختم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ تفسير هؤلاء الآيات بعد ذكر أخبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذه القصيدة البديعة في مدحه عليه الصلاة والسلام.

ومدح الأنبياء واسع وباب جائز؛ لكن لا ينبغي لإنسان أن يجاوز المأذون فيه، كما جنح إليه المصنف في أبيات عدة، كقوله «والْثم بأبواب الخليل ترابها»

وقوله:

(يـا سـيدًا يحمـي النزيـل بجاهـه يـا أوحـدًا يعطـي الجزيـل تكرمـا)

وقوله فيها:

(بكمـا مـلاذي في الـورىٰ وتوسـلي ومعــولي في النائبــات عليكمــا)

إلىٰ آخر أبيات توسُّله وتشفُّعه بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإن الأنبياء لهم جاه عظيم ومنزلة عالية عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لكن التوسل بجاههم واللِّياذَ بحماهم ممّا لم يرد، وإنما هو من البدع المحرمة التي شاعت في كلام المتأخرين.

وسبق أن بيننا أنواع التوسل في رسالة مفردة لأبي العباس بن تيمية تقدم إقراؤها في أحد سنوات هٰذا البرنامج الماضية.

وهذا آخر التقرير علىٰ هٰذا الكتاب. وبالله التوفيق.

***

وقبل أن تنصرفوا أود أن أذكُر جملة من التنبيهات:

منها: **التحريض علىٰ إغلاق الجوالات**؛ لأنها تشوش علىٰ حضور الدرس وإقبال القلب إنما يمكن بمنع القواطع التي تقطع علىٰ الإنسان مقصوده، فمن كان معه شيء من هٰذه الأجهزة فإنه يُغلقه بالكلية أو يضعه علىٰ حال صامتة لئلا يؤذي إخوانه.

ومنها: **التنبيه أنه ليس من آداب الدرس التفرق والبعد عن الحلْقة**؛ بل الذي جاء في السنة هو القرب

---

(١) بياض، مثل هٰذا يقال فيه بياض، يعني إذا قرأ القارئ ووجد هٰذا يقول بياض، تنبيهًا علىٰ وجود سقطٍ.

من الحلقة والدخول فيها، أما التفرق أوزاعًا أوزاعًا فقد صح عن النبي ﷺ النهي عنه.

ومنها: التنبيه إلىٰ الحرص علىٰ ملازمة الدروس، فإنَّ انتفع الإنسان بالعلم إنما يكون بدوام لزومه، وهذا مقام من مقامات جهاد النفس، ومن أراد أن يعرف نفسه فليبتليها بمثل هٰذه المواضع، ويتأكدُ ذلك بحقِّ طلاب السكن فيحرص الإنسان علىٰ حضور جميع هٰذه الدروس لينال ما يكون فيها من نفع بإذن الله ﷻ.

وتنتهي فعالية البرنامج بالحفل الختامي يوم الجمعة بعد تناول طعام العشاء.

ومنها: سيتم توزيع كتاب يتضمن تعريفا بالبرنامج، وهو الكتاب الذي دأبنا علىٰ توزيعه كل سنة وكذلك شريط «هموم الطلب» وقصيدة «لامية العجم» للطُّغرائي، فاحرص علىٰ اقتناء نسخك منهن.

وهذه النسخة معدة للتوزيع في آخر المسجد، فإذا انصرفتم فكل إنسان يأخذ حظّه منها ولا يتجاوز نسخة ليعم النفعُ الجميع.

ومن ذلك التنبيه إلىٰ أنه جرت العادة بإقامة ثلاث مسابقات مصاحبة للبرنامج؛ هي مسابقة المقروء والمسموع والمحفوظ، وسيكون اختبار مسابقة المقروء بعد درس العشاء ليوم الثلاثاء؛ ومادته كتاب «شرح القصيدة الدالية» للشيخ البراك، وهو أحد كتب البرنامج الموجودة في المذكِّرات، وهو درس الفجر يوم الخميس.

وسيكون اختبار مسابقة المسموع بعد درس العشاء من يوم الأربعاء ومادته شريط «هموم الطلب».

وسيكون اختبار المحفوظ بعد درس العصر من كل يوم، ومادته قصيدة «لامية العجم» للطُّغرائي، سيجلس الأخ الذي تعرضون عليه في آخر المسجد بعد الدرس العصر ويقوم من شاء بالمشاركة في هٰذه المسابقة بعرض عشرة أبيات كل يوم آخرهن يوم الخميس.

ومنها: أن التسجيل الصوتي مسموح لمن أراد شرط أن يكون خاصًّا به.

ومنها: أنه توجد بطاقات خاصة لتسجيل الأسئلة ولا تقبل الأسئلة المكتوبة بغيرها، وهذه البطاقات موجودة علىٰ الأرفف التي علىٰ هٰذا العمود والتي علىٰ ذلك العمود، فمن كان عنده سؤال فليكتبه بهذه البطاقات فسيجاب علىٰ هٰذه الأسئلة إن شاء الله كما جرت العادة في آخر أيام هٰذا البرنامج.

ومن تلك التنبيهات: الإعلام بأن درس الفجر يبدأ بعد ساعة من الآذان، ويبدأ درس العصر بعد خمس وأربعين دقيقة من الأذان، ويبدأ درس العشاء بعد أربعين دقيقة من الأذان، وكلما تأخر الأذان دقيقة تأخر البدء معه، وأما درس الظهر والمغرب فإنهما يبدآن بعد الصلاة مباشرة لضيق الوقت.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❊❊❊